المجلد الخمسون

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

العدد الثامن : جمادي الأولى ١٤٢٦ هـ — يونيو ٢٠٠٥م

من حضارة القرآن إلى حضارة الأوهام

حسن الجوار قبل الحوار

الأمن والايمان

متى نصر الله؟

ملامح اسلامية في شعر شوقي

تصدرها مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ص.ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

Albaas-el-Islami Nadwatul Ulama, P.O.Box 93, Lucknow U.P. (India)

Tel.: 2741235-2741272 MAJALLAH RNI No.(U.P. ARA/2000/2341)

Fax : 0522-2741221-2741231 Regd. No. LW-NP/64/2003 To 2005

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(Vol.50, Issue-7) May 2005 (Monthly)

إصدارات جديدة:

مصادر الأدب العربي

بقلم:

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الناشر:

مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
لإحياء المعارف الاسلامية

دار عرفات دارة الشيخ علم الله
رائے بريلي - (الهند)

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Deptt. of Journalism and Publicity) Nadwatul Ulama at Parekh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P.

بسم الله الرحمن الرحيم

انشاها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي واضح رشيد الندوي

العدد الثامن : جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - يونيو ٢٠٠٥م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235

المجلد الخمسون

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

العبقري المطلوب !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأثمر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجا جديدا يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارا متواضعين كالأقزام .

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- في الهند
  مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
  ثمن النسخة : ٢٠/روبية
- في العالم العربي
  وفي جميع دول العالم :
  ٢٥/دولارا بالبريد العادي
  و ٤٠/دولارا بالبريد الجوي

***

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء .
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin : 226 007 (INDIA)

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

محتويات العدد

◆ **الافتتاحية** :

من حضارة القرآن إلى حضارة الأوهام — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

◆ **التوجيه الإسلامي** :

الأمن و الإيمان — د/محمد بن سعد الشويعر — ٨

متى نصر الله ؟ — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ١٣

حول التفسير العلمي للقرآن الكريم "الجواهر" للجوهري — أ.د محمد السيد علي بلاسي — ١٨

◆ **الفقه الإسلامي** :

جراحة التجميل من منظور الفقه الإسلامي — الأستاذ محمد غياث الدين تعلقدار — ٢٥

الخلع في الإسلام — الأستاذ حسيب الرحمن مجيب الرحمن — ٣٢

ما هي المرأة ؟ — الدكتور جاويد أحمد خان الندوي — ٤٠

◆ **دراسات و أبحاث** :

وقفة في قول الله تعالى : "فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيهما اتاهما" — الأستاذ عبد الرشيد الندوي — ٤٩

مع رحلة ابن هشام في تتبع الأساليب القرآنية — الأستاذ محي الدين غازي — ٥٨

ملامح إسلامية في شعر شوقي — الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي — ٦٨

◆ **مع القضية الفلسطينية** :

أربعة أعوام على انتفاضة الأقصى المباركة — الدكتور محمد حسين خان الندوي — ٧٦

أدورد سعيد : عبقرية التنظير وفارس ميدان الكفاح الفلسطيني — الأستاذ مجيب الرحمن الندوي — ٨٣

◆ **صور و أوضاع** :

حسن الجوار قبل الحوار — الأستاذ السيد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٣

◆ **أخبار اجتماعية وثقافية** :

تهاني قلبية لفضيلة الشيخ محمد ولي الرحماني على منصبه الجديد — قلم التحرير — ٩٨

الاجتماع ١٨/لهيأة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند — " " " " — ٩٨

◆ **إصدارات جديدة** :

النظام الاجتماعي في ضوء أحاديث الرسول الكريم ﷺ — بقلم سعادة الشيخ الدكتور عبد الله عباس الندوي — ٩٨

١- "العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ؛ آثار حياته" (باللغة الأردية) — بقلم : الأستاذ الدكتور عباد الرحمن نشاط

٢- "العلوم العربية الإسلامية والمستشرقون" (باللغة الأردية) — بقلم : الأستاذ الدكتور محمد ثناء الله الندوي

٣- "نقوش بزرگان" باللغة الأردية (آثار السلف) بقلم : الشيخ عبد القيوم الراجكوتي — قلم التحرير — ٩٩

◆ **إلى رحمة الله تعالى** :

١- رحيل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في القاهرة — قلم التحرير — ٩٩

٢- الأستاذ شمس الباري ، في ذمة الله تعالى — " " " " — ٩٩

٣- الشيخ أبو بكر سعيد الندوي ، في ذمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠

٤- والدة الشيخ عبد الحميد المقرئ الندوي ، في ذمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠

٥- والدة الأخ الأستاذ محمد أرشد الأعظمي الندوي ، في ذمة الله تعالى — " " " " — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

من حضارة القرآن إلى حضارة الأوهام

لما كانت حضارة الإسلام قائمة على أسس ثابتة من العقيدة والشريعة ، فإنها تحتوي على قيم أخلاقية ومثل عالية تمهد الطريق إلى تمثيل النموذج الأفضل للحياة الإنسانية بجميع مجالاتها وشعبها ، وتركز على الإيجابيات التي تدعونا إلى الاهتمام بأداء المسئولية التي تتجه إلينا ، وإلى البحث عن الوسائل التي تساعد على أدائها بأحسن وأتم وجه ، ومن ثم كان المسلم مسئولاً عن بناء المجتمع الإنساني السليم الذي يتكفل بالعيش في جو من السعادة والهدوء ، والتمتع بالعدل الاجتماعي الذي أصبح اليوم كعنقاء المغرب ، في المجتمعات البشرية العالمية كلها ، التي وقعت فريسة الانهيار والمعاكسة ، وحلت فيها الأدواء الخلقية والرذائل العملية محل القيم الخلقية وفضائل الأعمال ، وأضحت ميزة النجاح والعظمة فيها الشطارة والغش والخداع بكل ما فيه من معان ، حتى إن الشخص الذي يعيش على الطبيعة مبتعداً عن ألوان الزيف والاحتيال ، يُعتبر أبله أو شبه مجنون لا يملك حق العيش في عصر يتميز بالتقدم والتطورات السريعة في جميع مناحي الحياة .

أما المسلم الواعي الرشيد فإنه ليس بحاجة إلى تقليد الظواهر الحضارية والتقاليد العصرية في أيّ شأن من شئون الحياة الفردية والجماعية ، فإن حضارته الشاملة الكاملة والمغطية لجميع الاحتياجات وحلول المشكلات والقضايا المستجدة مع اختلاف العصور والبيئات ، تغنيه عن كل نوع من أنواع التقاليد والمحاكاة ، وتفرض عليه الاستقامة على جادة الحق والعدل التي ليس فيها عوج ولا زيغ ، ولا التواء ولا غموض ، ولا نهاية لها ما لم ينته هذا العالم ، كان دأب المسلم في الماضي أن

لا يحيد عن دوره في أداء الرسالة والقيام بالمسئولية حتى في أصعب الساعات وأشد لحظات الحياة ، والتاريخ الإسلامي يزخر بأمثلة للصمود والثبات والاستقامة دون مبالاة بالظروف ورؤية إلى المصالح ، هذا التاريخ من ماض قريب ، حافل بالتجرد عن متاع الدنيا والفرار من المال والمنصب ، ومن العرش والتاج .

فهذا الإمام الكبير السيد أحمد بن عرفان الشهيد الذي قاد قافلة الهجرة والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى وتأسيس دولة شرعية نموذجية في أفغانستان في القرن الثالث عشر الهجري اتباعاً لسنة النبي الكريم ﷺ ، واقتداءً بقدوته في الهجرة والجهاد ، يتحدث عن غايته التي توخاها من خلال هذا العمل العظيم ؛ فيقول في رسالة له وجهها إلى علماء الهند الكبار ، وذلك إبان الاستعمار الإنجليزي في الهند الذي ضيق على المسلمين الخناق وكانت هناك ثورة عامة ضده :

"إن الله علام الغيوب شاهد على أنه لم يخطر ببالي أبداً وفي أي حال من الأحوال ، أن امتلك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة وأحكم البلاد ، ويكون لي منصب عريض آمر وأنهى ، أو أهدر كرامة السلاطين والملوك الأجلة ، فأتبوأ عرش السيادة والحكومة ، إن التاج والعرش لا يعادلان حبة شعير في عيني ، ولم أفكر قط في مملكة كسرى وقيصر ، وإنما تراودني أمنية واحدة فقط ، وهي أن يتم هذا العمل إما على يدي أو على يد أخرى" .

وهذا العالم الشامي الكبير الشيخ سعيد الحلبي لا يقيم وزناً لأصحاب الحكم والمناصب ، فقد كان الشيخ من أولياء الله الكبار لم تكن الدنيا تعدل في عينه جناح بعوضة ، وقد زاره حاكم دمشق الطاغية إبراهيم باشا في مسجده حيث كان يلقي دروس العلم والدين على طلبته ولكن الشيخ ظل مشغولاً بعمله مادّاً رجله من غير اكتراث بالحاكم العظيم الذي أزعجه هذا المنظر ، وكان ذلك في إحدى أمسيات ١٨٣٦م نفس القرن الثالث عشر الهجري ، فلما رجع الحاكم إلى مقره ، وكان قد أعجب بشخصية الشيخ الجليل واستغنائه عن الدنيا ومتاعها ، بعث إليه بكيس فيه ألف دينار من الذهب العين ، فلما جاءه الرسول ، وقدم إليه هذه الهدية الغالية تبسم الشيخ وقال : سلّم على سيدك ، وقل له : إن من

يمدّ رحله لا يمدّ يده .

وهناك أمثلة كثيرة لمثل هذه الاستقامة والصمود في وجه الطغيان والطغاة ، وتمثيل الشخصية الإسلامية الأثيرة عند الله وعند رسوله ﷺ التي لا ترضى بالمحاباة ولا بالمداهنة مهما كانت الظروف والمصالح ، فضلاً عن أن يؤثر فيها مطمع من المال والجاه ، وهي من صناعة التربية الإسلامية التي تولاها رسولنا العظيم محمد خاتم النبيين عليه ألف ألف تحية وسلام ، فصنع جيلاً مسلماً كامل الإيمان حمل إلى العالم كله شرقاً وغرباً نور العقيدة واليقين الذي بدد ظلام الجهل وقضى على جميع الأدواء الخلقية التي كانت موضع مباهاة لدى المجتمعات البشرية يومذاك ، وكلما تفاقمت هذه الأمراض واتسع نطاقها في شعب أو جيل كانت له مبعث فخر واعتزاز ، كما هو المشاهد في الحضارات التي سبقت الإسلام وفي الحضارات والفلسفات المعاصرة اليوم ، بفعْل العقلية المادية التي أقامت الإنسان في سوق المناداة حيث يباع بأثمان رخيصة ، ويُستأجر لأغراض خسيسة للغاية ، فيكون خاضعاً لأوامر السادة المستغلين ممن يستخدمونه على جبهات مخجلة يتندى لها الجبين ، ويستحيي منها البهائم والسباع : ﴿ أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ * بَلْ هُمْ أَضَلُّ * أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

بلغ بنا فقدان الحس الديني إلى حيث حُرمنا فيه التمييز بين الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، فتارة نقع فريسة التطرف في عديد من صميم القضايا ، وأخرى نرمي قوانين الشرع وآداب الأخلاق والاجتماع عرض الحائط ، فلا يبقى لدينا وازع ديني يمسك بيدنا عن اقتراف ما لا يُقرّبه الشرع ولا يجدر بشأن المسلم ، ولعل ذلك هو السرّ فيما يحاك ضد المسلمين اليوم من مؤامرات ، وما يخطط من تخطيط دقيق للقضاء على الأمة الإسلامية ، إما بتحويلها إلى أمة متزعزعة العقيدة ومتزلزلة البنيان تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض ، أو بالقضاء عليها نهائياً ، وذلك ما نراه ونجربة فيما يركز عليه الغرب المادي وزعماء اللوبي اليهودي والنصراني بوجه خاص - وقد التقيا ضد المسلمين ، رغم العداوة التي عُرفت بينهما ، وسجلها التاريخ - من قطع صلة المسلم عن منبع دينه وإبعاده عن جادة الإيمان بالله و رسوله ، بأيّ طريق ممكن ، و لا يراعون في

تحقيق هذا الهدف إلاّ ولا ذمة : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ * وَمَا تُخْفِي صُدُوْرُهُمْ أَكْبَر ﴾ .

إنهم لا يدخرون وسعاً في إيجاد أزمات ومشاكل سياسية واجتماعية ، وإثارة حميات وعصبيات قبلية ولسانية في نفوس الشباب من الأمة لكي يستغلوهم في تمزيق الوحدة الإيمانية وتشتيت شمل الإخوة الإسلامية ، ثم يدفعوهم إلى تمثيل دور النفاق والخداع ، وتشويه صورة الإسلام وسمعة المسلمين ، وبالتالي تنفير الشعوب الأخرى من الإسلام باعتباره دين الإرهاب والقسوة والظلم ، ومن ثم يتسنى بكل سهولة شراء الضمائر ، وتجريد القلوب من الشعور بأمانة الدين وثقلها ، وبالمسئولية الإنسانية التي تقوم على أساسها حياة المسلم فردية وجماعية .

أما سيطرة هذه الطغمة على الإعلام و وسائله وأجهزته فأظهر من الشمس في رابعة النهار ، وقد أبدعوا مغريات خبيثة تأخذ بالألباب وتسحر العقول ، وتشغل الأسر والعائلات بجميع أفرادها ، رجالها ونسائها ، وأطفالها وشبابها وفتياتها ، عن كل شأن ، وحسبها أن تكون معول هدم للقيم والمعنويات ، وكفاها "فيروسات" أمراض لا علاج لها ، إن هذه البرامج المكشوفة والمتعرية عن كل حشمة وحياء توجه بقنواتها القوية إلى العالم الإسلامي ، وبلدان المسلمين بوجه خاص ، وهذا من الظواهر المعلومة ، إلا أن هناك أساليب سرّية لصرف المسلم عن دينه وشريعته ، وهي أساليب الثناء على الإسلام وتاريخه ، والاعتراف بشموله جميع شئون الحياة والمجتمع ، وبأنه كان ذا دور عظيم في الماضي وكان عطاؤه للإنسانية غالياً ، ولا يزال عاملاً كبيراً لمنح الإنسان مكانة عالية بين الحضارات السابقة ، وقد كان عَلَم الحضارة التي رفعها للعالم مرفرفاً ، وبما أن العلم الحديث ، قد أضاف إلى الحياة والمجتمع البشري إضافات قيمة ، فلا مناص من تنظيم الفكر وتجديد الأساليب وعدم الإصرار على القديم والاستفادة من الإبداعات العلمية الحديثة .

بهذا وأمثاله من الأقوال والآراء يضللون المسلم ويتزلفون إليه ، ويصيدونه في الماء العكر ، ويثيرون الشُبه في نفسه حول صلاحية الإسلام وجدوى شريعته ، وتفاعلها مع الحياة المعاصرة ، إنهم وفروا وسائل وآلات

لإذابة الشخصية التي يحملها المسلم ، ويمثلها في جميع الأحوال والأوضاع .

كانت هناك جمعيات ومؤسسات تعمل لتحقيق هذا الغرض بأساليب سرّية ، وبطريق الغزو الفكري ، والتبشير النصراني ، والمخادعة اليهودية قديماً ، ولكن الطريق الذي تسلكه اليوم يختلف عن الطرق الماضية كلها ، ويمكن أن نعبر عنه بالطريق القسري الذي يَفرض على المسلم خروجه عن الدين وتعاليمه ، والانسياق مع تيار المدنية المعاصرة ، التي تأبى إلا أن تحارب الفطرة وتذيب القيم ، وتحول الحياة إلى جحيم وشقاء .

إن اللوبي اليهودي بجميع أسلحته وأوزاره ، مكب على تنفيذ مخططاته ضد الإسلام والقرآن والأمة المسلمة ، إن لديه أفواجاً من العاملين في هذا المجال ، وهم مخلصون في عداوتهم الشديدة للذين آمنوا ، فلا يلبثون إلا أن يوغروا صدور الشعوب والأمم كلها ضد المسلمين ، ولا يتمنون إلا أن يستأصلوا جذور الإيمان من القلوب ، ويحولوهم إلى الكفر والشرك وارتكاب المعاصي حسداً وبغضاً وعداوةً ، إنهم يحسدون على ما آتى الله سبحانه الأمة الإسلامية من فضله ، ويبغضونها لأنهم قد ضُربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤا بغضب من الله ، ويعادونها لأنهم يزعمون أنهم أوليه لله من دون الناس .

هناك جهود مضنية تبذل للقضاء البات على الشخصية الإسلامية ، وصهر المسلمين في بوتقة الكفر والإلحاد ، ومما يؤسف له أن بعض المجموعات من الشباب يقع فريسة لهذه المكايد والمخططات ، والمسئولية في رد هذا العدوان اليهودي والصليبي تعود إلى دعاة الإسلام والمفكرين وأصحاب الاهتمامات بالعمل الإسلامي على المستوى العالمي ، يقول الله سبحانه وهو يثني على أهل الدعوة والعمل الصالح والاعتزاز بالإسلام .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ * وَعَمِلَ صَالِحاً * وَقَالَ : إِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ * وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ * ادْفَعْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ * فَإِذَا الَّذِيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ * كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِيْنَ صَبَرُوْا * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ ﴾ .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي
١٤٢٦/٦/٥هـ

التوجيه الإسلامي :

الأمن .. و الإيمان

(١)

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض)

هناك خصلتان متلازمتان ، إحداهما تمكّن الأخرى ، وتؤصّلها .. هما الأمن النفسيّ ، والأمان الاجتماعي .. والأمم تسعى إليهما ، وتبذل في سبيل توفيرهما ، واستتبابهما جهداً ومالاً ، وتخطيطاً ودراسةً .. لكنهما قد خفّ ميزانهما عند كثير من الناس في هذا الزمان فصاروا يروّعون ويرهبون .

فإن اتّحدا قويت الركيزة في المجتمع ، واستتب الأمن ، وشاعت الطمأنينة في كل بيئة وتوافرت فيها الأسباب المعينة على ذلك .. وإن افترقتا بان الخلل بحسب زاوية الانفراج بينهما قوةً وضعفاً ، وتأثّر الوضع في المجتمع وبين الأفراد ، وانتزع بذلك الأمن في الأوطان ، والطمأنينة في المجتمعات .

إنها الأمن ، الذي يأخذ من الأمم جهداً كبيراً ، و أموالاً طائلةً ، علاوة على الدراسات وتكريس الأعداد الهائلة من الأجهزة والأفراد والمعدّات .. فهذا عمل اجتماعي يستنزف طاقات وقدرات ، والإيمان : ما هو إلا عمل وجداني ، منبعث من الأحاسيس ، وتؤصّله عقيدة مبعثها عامل دينيّ ، يدفع النفس لأعمال تُرْضِي البيئة وأهلها ، ولا يطلب حامل هذه العقيدة ، مردوداً من المجتمع وأفراده ، وإنما يطلب ذلك : جزاء من الله ، وأداء للأمانة التي تحمّلها بعمله وعلمه .

يبرز مثل هذا في قول مندوب ملك الروم ، عندما جاء إلى

المدينة المنورة ، فكان يبحث عن قائد المسلمين ، الخليفة الراشد : عمر ابن الخطاب ﷺ ، في أمْرٍ جاء من أجله ، فوجده نائماً في المسجد ، قد توسّد كومة من التراب ، وأثّرت في وجهه .. فقال له : لقد حكمت فعدلت ، فأمنت ونمت يا عمر .. ، وما ذلك إلا لأن إيمان عمر قويّ ، وحريص جداً على أداء الأمانة ، وتأمين الناس .

ومن المعلوم أنّ راحة النفس لا تكون إلا بالإيمان ، ورخاء المجتمع لا يكون إلا بالأمان ، فالأمان ثمرة من ثمار الإيمان ، وحصيلة من حصائل العقيدة الصافية .

والإيمان والعقيدة الصافية ، لا يكونان ذا أثر ثابت ، ونتيجة مرضيّة ، إلا بعد الدخول في الإسلام وفهمه جيداً ، ثم تطبيقه عملاً ، كجزء متأصّل في النفس البشرية ، يقول سبحانه : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا * قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا * وَلَكِنْ قُوْلُوْا أَسْلَمْنَا * وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ ﴾ (الحجرات/١٤) .

ونفس لا إيمان فيها تبقى مضطربة ، تتقاذفها الأهواء لأنها قلقة ، ويحرّكها أصحاب النزعات ، لأغراضهم التي تضرّ بالأمّة ، لأنها تائهة وغير مستقرّة ، فتُجسَّم أمامها الأمور لتخاف من كل ما يتصور أمامها ، حتى يسهل توجيهها لتنقاد بدون رويّة ، ولا معرفة لماذا تساق.

وهذا ما يجب الاهتمام به أمام الشباب ، حتى يعرّفوا بالأمر الحسن ليتّجهوا إليه ، والأمر الضّار ، فيحذّروا من الانسياق إليه ، فهم أمانة أمام أولياء أمورهم ومعلميهم ، وكل من لديه قدرة على التوجيه ، أما اضطراب النفس عندما يخفّ ميزان الإيمان من القلب ، الذي هو الموجّه لأعمال البدن : لأنها كالسفينة في مهبّ الريح ، فتتقاذفها التيارات في البحر يميناً وشمالاً ، حيث تموج بها تقلّبات البحر يمنة ويسرة ، وتميل مع العوامل المؤثّرة التي تطغى عليها ، فهي

لم تجد ما يرسّيها ، أو يوصّلها لبرّ الأمان ، لأن لكل نفس مصدراً تشريعياً في سلوكها ، أو منهجاً عقدياً في تصرفاتها ، غير المصدر الذي أوجده الله سبحانه للمؤمنين ، وارتضاه سبحانه لعباده وبعث به رسله ، فإنه لا يلبّي رغبة ، ولا يريح نفساً ، ولا يحقق هدفاً ترضاه النفوس الصافية ، أو يريح المجتمع من المشكلات والفوضى .

وقد جعل الله مصدرين يسكّنان النفس من اضطرابها ، لترتاح في سيرتها ، وتطمئن على حاضر أمرها، وأمن مجتمعها ؛ هما : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فيجب الحرص على تمكينهما من قلوب الشباب : فهماً وفكراً ، وتطبيقاً ومنهج سلوك .. حتى تستقرّ قلوبهم ، وتقوى الحصانة الفكرية لديهم .

وأما كون النفس تائهة : فإن من يسير بغير هدى ، أو معرفة لشرع الله ، الذي شرع لعباده فإنه كالمسافر في طريق لا يعرف اتّجاهه ، وهذا ما يجب بذل الجهد ، حتى لا تتيه وتضيع أفكار في مسارب ضالّة .

وطرق المسالك في العبادة والعقيدة ، كالطرق الموصلة من مكان لمكان ، فالذي يأخذ المعروف فيها ، بعلاماته وإرشاداته ، هذا هو الآمن الموصّل للهدف بطمأنينة ، أما غيره من الطرق ، فإنها تؤدي إلى الضياع ، والاضطراب النفسيّ ، حيث يسهل على الشباب تأثير الأعداء فيه ، وقيادته إلى الانحراف الفكريّ .. الذي به يضرّ نفسه ومجتمعه ، ويتسبّب في فتح ثغرة على أمّته ، وبنى جنسه .. حيث يجده الأعداء مطيّة سهلة الركوب ، تحقق مآربهم ، دون أن يبرزوا في المواجهة لاهُمْ ولا أعوانهم .

وللترابط بين الأمن والإيمان ، فإنهما سوياً من مادة أمن ، الأهمية لهذه الدلالة ، فإن هذه المادة ومشتقاتها قد جاءت في كتاب

الله الكريم ، أكثر من ثمانمائة مرّة ، مما يبرهن على الأهمية ، في الدلالة والحرص على العمل ، ولما يوليه الإسلام من عناية في توجيه النفس البشرية ، لما فيه المصلحة الفردية و الجماعيّة ، و هذا من الرقابة الذاتية ، التي يحسن أن تكبر لدى الشباب خاصّة ، حتى يدركوا بهذا العلاج المريح للنفس ، من دون عقاقير و لا وصفات ، فتطمئن النفس ، ويأمن المجتمع .

وقد رسم رسول الله ﷺ لأمّته ، بوسيلة إيضاح ما يؤكّد طريق الأمان ، وما يزيل المخاوف عنهم ، وما على كل شاب إلا اتّباع ما جاء به ﷺ لأمّته ، وهو خير ناصح ومرشد لما فيه الخير والصلاح .

فقد خطّ خطاً مستقيماً في الأرض ، وأفهم أصحابه أن هذا هو الطريق الموصّل إلى الأمان الذي هو شرع الله ، ثم خط خطوطاً جانبيه متفرّعة منه ، وبيّن أن هذه الخطوط هي طرق ، من سار فيها ضلّ وغوى ، وابتعد عن طريق الرشاد ، واسترشد بالآية ١٥٣/من سورة الأنعام : ﴿ فَلاَ تَتَّبِعُوْا السُّبُلَ * فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ ﴾ .

من عناد بني إسرائيل :

قال ابن إسحاق في السيرة النبوية : أنّ رسول الله ﷺ ، قال له المقداد بن عمرو الكندي ، يوم بدر ، لّما رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام مهتماً : يا رسول الله ! إنّا لا نقول لك ؛ كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ أَذْهَبُ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ * إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُوْنَ ﴾ ولكن نقول : أذهب أنت وربك فقاتلا ، إنّا معكما مقاتلون ، ذلك أن بني إسرائيل لما أُمِرُوْا بقتال العمالقة ، نكلوا عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى ﷺ ، فحرّضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة ، وهما ممن يخاف الله ، ويخشى عقابه ، وقيل لهما مهابة وموضع من الناس ، ويقال : إنهما يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا ، كما قاله

ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم ..

لأن بني إسرائيل قد نكلوا عن الجهاد ، وخالفوا أمر رسولهم موسى ، وتخلّفوا عن مقاتلة الأعداء الذين أمروا بقتالهم ، وقد عاقبهم الله بتحريم الأرض المقدسة عليهم أربعين سنة ، يتيهون في الأرض ، فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم ، ثم يسيرون ليس لهم قرار ، ثم ظلّل الله عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، وهذا قطعة من حديث الفتون .. ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ، ثم بعده بمدّة ثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام ، وأقام الله عليهم يوشع بن نون عليه السلام نبياً ، خليفة عن موسى بن عمران ، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في مدة التيه ، وقيل لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكالب ، فلما انقضت المدة خرج يوشع بمن بقي منهم ، حيث مات الذي عاندوا في مدة التيه ، وكان معه الجيل الثاني ، فقصد بيت المقدس فحاصرها فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر ، فلما تضيّفت الشمس للغروب ، وخشي دخول السبت عليهم ، قال : إنّك مأمورة وأنا مأمور اللهم حبسها عليّ ، فحبسها الله تعالى حتى فتح بيت المقدس ، وأمر الله يوشع أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس : أن يدخلوا بابها سجّداً ، وهم يقولون : حطّه أيْ حُطّ عنا ذنوبنا ، فكان من عنادهم أن بدّلوا ما أمروا به ، ودخلوا يزحفون على أستاههم ، وهم يقولون : حبّة في شعرة (٣٧/٢) .

****

****

متى نصر الله ؟

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

يعتقد المسلم الصادق في عقيدته أن النصر بيد الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ ﴾ (آل عمران/١٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ إنْ يَّنْصُرْكُمُ اللهُ * فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ * وَإنْ يَّخْذُلْكُمْ * فَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَّعْدِهِ * وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴾ (آل عمران/١٦٠) ، وقال تعالى : ﴿ وَاللهُ أعْلَمُ بِأعْدَائِكُمْ * وَكَفَى باللهِ وَلِيّاً * وَكَفَى باللهِ نَصِيْراً ﴾ (النساء/٤٥) فهذه الآيات تبين في وضوح وجلاء أن الذي يملك إعطاء النصر في جميع المعارك إنما هو الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي يعطيه لأوليائه وهو الذي قد يؤخره عنهم ليختبرهم في إيمانهم وصبرهم وهذا لون من التربية والتمحيص ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ * وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لاَنْتَصِرَ مِنْهُمْ * وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ * وَالَّذِيْنَ قتلوا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ * فَلَنْ يُّضِلَّ أعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيْهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد/٤-٦) ، وقال تعالى في سورة آل عمران ؛ الآية/١٤٢ : ﴿ أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ * وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ * وَيَعْلَمَ الصَّابِرِيْنَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ * وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ * مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوْا * حَتَّى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ * وَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مَعَهُ * مَتَى نَصْرُ اللهِ * ألاَ إنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ ﴾ (البقرة/٢١٤) .

كما يعتقد المسلم الصادق في عقيدته أن هناك عدة أمور يجب تحقيقها، لكي ينصرنا الله على أعدائنا من هذه الأمور: إنه يجب على أبناء الأمة حكاماً ومحكومين أن يكونوا في طاعة دائمة لله ﷻ، بإقامة قرآنه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام في أنفسهم وفي كافة أنواع معاملاتهم وبخاصة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية منها، وفي علاقتهم مع سائر دول العالم، حتى يكونوا جديرين بهذا النصر مستحقين له، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا * إِنْ تَنْصُرُوْا اللهَ يَنْصُرْكُمْ * وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد/٧)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا * وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * وَيَوْمَ يَقُوْمُ الأَشْهَادُ ﴾ (غافر/٥١).

كما يجب على أبناء الأمة قيادةً وشعباً العمل على وحدة الصف بينهم بوحدة الكلمة و وحدة الموقف، و وحدة الهدف و وحدة الوسيلة، بحيث تجتمع قلوب أبناء هذه الأمة جميعهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تنافر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِهِ صَفّاً * كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوْصٌ ﴾ (الصف/٤)، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعاً * وَّلاَ تَفَرَّقُوْا ﴾ (آل عمران/١٠٣) فتحالف المسلم مع أخيه المسلم، لن يؤدي إلا للنصر، وإن تحالف المسلم مع الكافر، لن يؤدي إلا إلى البوار و الخسران، قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ * فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ * أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ * أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ * هُمُ الْخَاسِرُوْنَ * إِنَّ الَّذِيْنَ يُحَادُّوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ * أُوْلَئِكَ فِيْ الأَذَلِّيْنَ * كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ * أَنَا وَرُسُلِيْ * إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيْزٌ * لاَ تَجِدُ قَوْماً يُّؤْمِنُوْنَ بِاللهِ * وَالْيَوْمِ الآخِرِ * يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ * وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ أَوْ أَبْنَاؤُهُمْ أَوْ إِخْوَانُهُمْ أَوْ عَشِيْرَتُهُمْ * أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِيْ قُلُوْبِهِمُ الإِيْمَانَ *

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوْحٍ مِّنْهُ * وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ * خَالِدِيْنَ فِيْهَا * رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ * أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ * أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴾ (المجادلة/١٩-٢٢).

كما يجب على قيادات هذه الأمة إعداد القوة على قدر الوسع والاستطاعة، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوْا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَّمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ * تُرْهِبُوْنَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال/٦٠) بالأخذ بجميع الأسباب المتاحة والميسرة في إعداد القوة في جميع الميادين وبكل الصور والأشكال، ومن أهم ميادينها إعداد الرجال الذين يسترخصون الحياة ويطلبون ما عند الله سبحانه وتعالى ويضحون في سبيله بالغالي والنفيس، فالتاريخ يؤكد لنا على حقيقة أن الأمم التي تسخو بدمء أبنائها وتقدم شبابها راضية دفاعاً عن عقيدته وأرضها ومقدساتها، لابد أمرها صائر إلى النصر مهما علت صيحات الباطل واشتدت أوزار المعركة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ * يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ * فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ * وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَالْقُرْآنِ * وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ * فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ * وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ﴾ (التوبة/١١١)، وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ * فَيَدْمَغُهُ * فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ * وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُوْنَ ﴾ (الأنبياء/١٨)، وقال تعالى: ﴿ ادْخُلُوْا عَلَيْهِمُ الْبَابَ * فَإِذَا دَخَلْتُمُوْهُ * فَإِنَّكُمْ غَالِبُوْنَ * وَعَلَى اللهِ * فَتَوَكَّلُوْا * إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴾ (المائدة/٢٣) وعلينا أن نحتسب شهداءنا الأبرار عند الله ﷻ ونراهم وقوداً إيمانياً يدفع بأبنائنا إلى المزيد من التضحية.

كما يجب على أبناء الأمة عامة وأبناء القوات المسلحة خاصة اجتناب الآثام والمعاصي؛ فقد كانت دائماً وصية الخلفاء الراشدين

إلى جنودهم إن أخوف ما أخاف عليكم دُنُوْبكُمْ فإذا تساويتم مع الأعداء في المعصية كانت الغلبة للأقوى ، ولما رأى المسلمون كثرة الروم في غزوة مؤتة ؛ قال أحدهم : ما أكثر الروم وما أقل المسلمين ! فرد عليه ابن رواحة قائلاً : ما أقل الروم وما أكثر المسلمين ، إنما ننتصر عليهم بطاعتنا لله ومعصيتهم له ، وقد بين لنا الإسلام أن المعارك في نتائجها النهائية لا تحسم بكثرة العدد أو العتاد ، ولا بقوة السلاح أو المعدات ، قال تعالى : ﴿ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيْلَةٍ * غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيْرَةً بِإِذْنِ اللهِ * وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَ ﴾ (البقرة/٢٤٩) وفي بدر نصر الله الصحابة وهم قلة "ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً" على الكثرة من المشركين "ألف رجل" ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ * وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ * فَاتَّقُوْا اللهَ * لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴾ (آل عمران/١٢٣) والأمثلة كثيرة في كتب التاريخ والسير والمغازي تؤكد نصرة القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة .

وعلى أبناء القوات المسلحة وأبناء المقاومة الشعبية والمجاهدين في كل مكان الثبات في المعركة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً * فَاثْبُتُوْا * وَاذْكُرُوْا اللهَ كَثِيْراً * لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾ (الأنفال/٤٥) ، ويقول الله ﷻ عن يوم بدر : ﴿ إِذْ يُوْحِيْ رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّيْ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوْا الَّذِيْنَ آمَنُوْا * سَأُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا الرُّعْبَ * فَاضْرِبُوْا فَوْقَ الأَعْنَاقِ * وَاضْرِبُوْا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (الأنفال/١٢) فيجب علينا الصمود أمام الأعداء مهما كلفنا الأمر و ليشهدوا بسالة منا و شجاعة في الذود عن أوطاننا و أعراضنا ولا نولهم الأدبار ؛ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا زَحْفاً * فَلاَ تُوَلُّوْهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُّوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ * فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ * وَمَأْوَاهُ

جَهَنَّمُ * وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ ﴾ (الأنفال/١٥-١٦) .

كما يجب علينا التحلي بالصبر فالنصر مع الصبر ، والله ﷻ يقول في سورة آل عمران ، الآية/٢٠٠ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ! اصْبِرُوْا * وَصَابِرُوْا * وَرَابِطُوْا * وَاتَّقُوْا اللهَ * لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾ كما يجب التودد إلى الله والتضرع إليه وطلب المدد والتمكين والنصر على الأعداء منه بالدعاء في الصلاة وفي كل وقت ، في اليسر والعسر في الشدة والرخاء فمن عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة ، قال تعالى : ﴿ ادْعُوْنِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر/٦٠) كما يجب الركون إليه والتوكل عليه ، فمن ركن إليه سبحانه وتعالى ، فقد أوى إلى ركن شديد ، إلى القوة التي لا تقهر وإلى الملك الذي لا يهزم ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ * وَهُوَ الْحَكِيْمُ الْخَبِيْرُ ﴾ (الأنعام/١٨) .

وأخيراً علينا بنشر الأمل ، وشحن النفوس بهذا الشعاع الذي يبدد ظلمات اليأس وغيوم الإحباط ، يقول الرسول الكريم ﷺ موصياً معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري حينما أرسلهما إلى اليمن (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا) كما روى صاحبه و خادمه أنس بن مالك أنه أمر الأمة كلها بما أمر به معاذاً وأبا موسى ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) وعلينا أن نكون واثقين بوعد الله تعالى ومستبشرين بمستقبل رسالته الخاتمة و دعوته الخالدة ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ (الروم/٤٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِيْ الزَّبُوْرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُوْنَ * إِنَّ فِيْ هَذَا لَبَلاَغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِيْنَ ﴾ (الأنبياء/١٠٥-١٠٦) وقال ﷻ : ﴿ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ ﴾ (البقرة/٢١٤) ولكنه مدخر لمن يستحقونه .

***

حول التفسير العلمي للقرآن الكريم
((الجواهر)) : للجوهري

(٢/الأخيرة)

بقلم : الدكتور محمد السيد علي البلاسي
(أكاديمي - خبير دولي - عضو اتحاد كتاب مصر)

♦ منهج الجوهري في تفسيره :

لعل من أكثر من ركز على كونيات القرآن في العصر الحديث أستاذنا الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره " الجواهر " ؛ فقد توسع في مجال التفسير العلمي ، وقرر أن القرآن يحوي كل العلوم ، وأنه يشير إلى جميع مسائلها ؛ ولعله تأثر بأستاذه الإمام الغزالي الذي ألف كتابه " جواهر القرآن " وخصص منه باباً يبين فيه كيف تشعبت العلوم كلها من القرآن (١٣) .

فالتفسير قسمان ـ كما يقول الإمام الشيخ محمد عبده ـ : " أحدهما : جاف مبعد عن الله وعن كتابه ، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية ، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرا ؛ وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرها . والآخر : هو التفسير الذي قلنا : إنه يجب على الناس على أنه فرض كفاية وهو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها ، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول ، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ؛ ليتحقق فيه معنى قوله : ﴿ هدى ورحمة ﴾ ونحوهما من الأوصاف ؛ فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك

الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن ... وهذا هو الغرض الأول الذي أرمي إليه في قراءة التفسير " (١٤) .

ولم يخرج الشيخ طنطاوي جوهري عن هذا الغرض في تفسيره بل زاد عليه ، وأكد هذا بقوله : " يا أمة الإسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات ، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها ... هذا زمان ظهور نور الإسلام ، هذا زمان رقيه ، يا ليت شعري ! لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ؟ ولكني أقول : الحمد لله ، الحمد لله ، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض ؛ لأنه فرض كفاية ، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض عين على كل قادر ... إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام ؛ فهذا زمان الانقلاب ، وظهور الحقائق ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " (١٥) .

ولعل هذا ما دفع الدكتورة بنت الشاطئ إلى أن تقول : " وقدم الشيخ طنطاوي جوهري تفسيره (الجواهر) فوجدت فيه الجماهير ما يريحها من مهانة الإحساس الباهظ بالتخلف " (١٦) .

ويعلق أحد الباحثين قائلاً : " وهكذا نجد أستاذنا الفيلسوف الإسلامي الشيخ طنطاوي جوهري يفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة ، وعلوم جديدة ، لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، فهو يقود المفسرين الذين يأتون من بعده إلى أفضل طرق التفسير ، كما فاق من سبقه في ذلك ، فأنت ترى الفلك والطب والهندسة و السياسة و الاجتماع و كل علم ما في السمه و الأرض ، وكل ما انتهت إليه الثقافة في مختلف عصورها من أول عهود الثقافة إلى

الآن ، من عهد " أفلاطون " إلى عهد " كانط " ـ كل أولئك مذكور في هذا التفسير بأجلى بيان ، موضح بأعظم توضيح ، ولا غرو فالأستاذ يفيض علماً ونوراً ؛ لأنهما يصعدان عن علم عامل بما يقول ، وعن عقيدة هي بقية من بقايا السلف الصالح المختار " (١٧) .

هذا ؛ وقد سمى الشيخ طنطاوي تفسيره : "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" ؛ لأنه يجعل الجوهرة بدل الباب أو الفصل ، والجوهرة يتفرع عنها الماسة الأولى والماسة الثانية وهكذا ...

وطريقته في تفسير القرآن : أن يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات التي يعرض لها ، ثم يتلوه بالشروح والإيضاح والكشف : أي أنه يشرع متوسعاً في الفنون العصرية المتنوعة (١٨) .

وإليك طرفاً من تفسيره للبسملة من سورة الفاتحة ـ كأنموذج ـ ، فيقول : " نزلت هذه السورة لتعليم العباد : كيف يتبركون باسم الله ﷻ في سائر أحوالهم ، وكيف يحمدونه ويستعينون به ؟ فيبتدئ القارئ قائلاً : اقرأ متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلائل النعم : كالسموات والأرض والصحة والعقل ، الرحيم المنعم بدقائقها ، كسواد العين ، وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذى لها ، مع أن النور يلمع من خلالها ، وينقل صور المرئيات إلى حدقتها فشبكيتها ، فالدماغ ، فهذه الدقة في الصنع والحكمة في الوضع التي أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلاً أن يلج ومنعت الغبار أن يدخل ، يعبر عنها بلفظ الرحيم تتميماً للنعمة ، وتكميلاً للهناء والسعادة .

ولما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم ، ولا يعرف نفسه إلا قليل منهم ، وهم أكابر الحكماء والأولياء ؛ وجب أن أبين في هذا المقام ـ بعض رحمة الله ـ عز وجل ـ في العالم المشاهد ..

ومن هذه العجائب : ما شاهده العلماء الباحثون في أمر

النحل والنمل والعنكبوت ، (فأما النحل) : فتعجب كيف جعل الرحمن الرحيم له سبلاً مذللة ، فإنه متى فتح زهرة أول النهار ليمتص رحيقها المختوم ويرجع به إلى الخلية فيضعه فيها ، يلهم أن لا يفتح زهرة في ذلك اليوم ، إلا ما كان من جنس تلك الزهرة لرحمة النحل ورحمة الناس ، أما رحمة النحل ، فإنه لا يعوزه أن يحتال في فتح زهرات أخرى من نوع آخر ، فيطول عناؤه ، وأما رحمة الناس : فإن ما يعلق برجلي النحلة من حبوب طلع الذكور من النبات ، إذا وصل إلى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه ؛ فأثمر ذلك النبات لحصول الإلقاح بهذه الرحمة العجيبة .

(وأما النمل) : فمن عجائب الرحمة الخاصة به : أن الله خلق له حشرة تسمى (افس) ـ باللسان الإفرنجي ـ يحار بها النمل ويغلبها ، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويسميها في ورق الورد ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتص منها مادة حلوة . فكأنه بقر له يشرب لبنه !

(وأما العنكبوت) : فإنها ألهمت النسج البديع بهندسة فاقت هندسة الإنسان ، وعلل ذلك العلماء بقولهم : إن هندسة إلهية ، وهندسة الإنسان بتعليم البشر ، فلذلك يغلط الإنسان ، ولا يغلط العنكبوت في الهندسة . ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت ؛ ألهمها الله أن تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها وأشجارها وتلطخ بها خيوطها التي نسجتها فتكسبها لزوجة ، فلذلك لا تمزقها الرياح إذا فاجأتها ، ولا الأعاصير إذا ساورتها ، وإذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزجة !

فانظر إلى آثار رحمة الله : كيف كانت الملاة الصمغية صائنة بيت العنكبوت الضعيف من التمزيق إذا هبت الزعازع ، واهتاجت الأعاصير

مع أنها قد تقتلع الأشجار وتخرب المساكن ، ثم تكون شبكة صائد وحيلة محتال ، هذه هي الرحمة والحكمة .

وهكذا ألهم الله الأنبياء وأوحى إليهم أن يعلموا العباد كيف يتبركون باسم الله في أول أعمالهم ؟ كالقراءة والأكل ذاكرين ربهم ورحمته الواسعة التي عمت سائر العوالم ، فيمتلئ قلب العبد إيقاناً بالرحمة ، واستبشاراً بالنعمة ، وفرحاً برحمة الرحمن الرحيم .

فإذا ابتدأ القارئ بالتسمية ، وامتلأ قلبه بتلك اللحمة ، فلا جرم ينطلق لسانه بالحمد ، بعد أن أفعم قلبه بالإجلال ؛ فيقول : الحمد لله ... (١٩)

هذا ؛ ومن اللمح اللطيفة في تفسير " الجواهر " ـ وكله لطائف ـ ما ذكره الشيخ طنطاوي جوهري في استهلاله سورة آل عمران ، عندما تناول تفسير الحروف المقطعة ؛ حيث أفرد مبحثاً شائقاً بعنوان : (الأسرار الكيميائية في الحروف الهجائية للأمم الإسلامية في أوائل السور القرآنية) ، قال فيه : " انظر رعاك الله ، تأمل ، يقول الله : أ ل م ـ أ ل ر ـ ط س ـ ح م .. وهكذا .

يقول لنا : أيها الناس إن الحروف الهجائية إليها تحلل الكلمات اللغوية . فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية سواء أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية شرقية وغربية ، فلا صرف ولا إملاء ولا اشتقاق إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها ؛ وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون .

ولا جرم أن العلوم قسمان : لغوية وغير لغوية ، فالعلوم اللغوية مقدمة في التعليم لأنها وسيلة إلى معرفة الحقائق العلمية من رياضية وطبيعية وإلهية ، فإذا كانت العلوم التي هي آلة لغيرها لا تعرف حقائقها إلا بتحليلها إلى أصولها فكيف إذن تكون العلوم

المقصودة لنتائجها المادية المعنوية ؛ فهي أولى بالتحليل وأجدر بإرجاعها إلى أصولها الأولية ، لا يعرف الحساب إلا بمعرفة بسائط الأعداد ، ولا الهندسة إلا بعد علم البسائط والمقدمات ، ولا علوم الكيمياء إلا بمعرفة العناصر وتحليل المركبات إليها ، فرجع الأمر إلى تحقيق العلوم " (٢٠) .

♦ دعوة صادقة لأولي النهى :

إن " قراءة هذا التفسير ـ ولا شك ـ تجربة فكرية ممتعة ورائعة ، وكنت أتمنى أن يعاد نشر هذا التفسير اللامع ليكون بين أيدي القراء المعاصرين بصورة سهلة ميسرة ؛ فهذا التفسير ولا شك يساعد المتدينين جميعاً على أن تكون لديهم حاسة علمية وشغف بالنظريات العلمية والكشوفات والمخترعات المختلفة ، كما أن هذا التفسير يساعد أصحاب النظرة العلمية المجردة على أن تكون لديهم مشاعر دينية عميقة حتى من خلال دراساتهم العلمية المتخصصة ، فهو تفسير يستخرج (الروح العلمية) من الدين ، ويستخرج (الروح الدينية) من العلم ! " (٢١) .

ومن العجيب أن كل من تصدى لتفسير القرآن تفسيراً علمياً في هذا الزمان لا يذكر الرائد الأول في هذا المجال وهو الشيخ طنطاوي جوهري ، ولا تفسيره العظيم الذي نحن بصدده ؛ لذا نرى من واجبنا أن نستحث الهيئات الإسلامية لعل واحدة منها ـ كمجمع البحوث الإسلامية أو غيره ـ تتبنى إعادة طبع هذا التفسير الجليل الذي فاق سواه بما جمع من شتى النواحي العلمية والكونية ؛ لينتفع به المسلمون في جميع بقاع العالم (٢٢) .

هذا ؛ ومع تقديرنا لقيمة فكر الشيخ طنطاوي جوهري ودوره العظيم في تفسيره ، إلا أننا نرى أنه يحتاج ـ قبل إعادة طبعه ـ إلى تحقيق ، خاصة فيما يتصل والجوانب العلمية فيه ؛ حيث تضاعف

العلم الحديث ونظرياته مرات ومرات منذ إعداد هذا التفسير في العشرينيات من القرن الماضي وحتى اليوم ، ولكن .. حسب الشيخ أنه ذكر في تفسيره كل ما وصل إليه هذا العلم حتى عهده !

لذا نقترح أن يوكل الأمر قبل إعادة طبع هذا التفسير الرائع - إلى لجنة تتكون من كبار العلمه في شتى ألوان العلوم الكونية ؛ بحيث يدلي كل منهم بدلوه في تخصصه ، ولا شك أنهم بهذا سيضيفون إضافات جليلة - لما ورد في هذا التفسير - مما وصل إليه العلم الحديث مؤخراً ؛ وبذلك تكون الفائدة أعم وأشمل وأقرب لأبنه القرن الحادي والعشرين ..

رحم الله الإمام المجدد ، المصلح الكبير ، العلامة الشيخ طنطاوي جوهري - رحمة واسعة ؛ بقدر ما قدم للإنسانية هذا التفسير العظيم ، وأفادها من منبع علمه ، وفيض معرفته ، وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين ..

---

(١٣) الشيخ طنطاوي جوهري .. دراسة ونصوص : ص ٥٥ . وينظر ؛ جواهر القرآن : للإمام الغزالي ، ص/٣١-٣٤ .

(١٤) تفسير المنار : ١/ ٢٢ ط. الهيئة المصرية العامة ، سنة ١٩٧٢م.

(١٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم : ٣/ ١٩.

(١٦) القرآن والتفسير العصري : للدكتورة بنت الشاطئ ، ص ٣٩ (سلسلة اقرأ رقم ٣٣٥ ، نوفمبر ١٩٧٠م) ط. دار المعارف.

(١٧) الشيخ طنطاوي جوهري .. دراسة ونصوص : ص/٥٩.

(١٨) المرجع السابق : ص ٥٦-٥٧ . وينظر ؛ اتجاهات التفسير في العصر الحديث : للدكتور عبد السلام المحتسب : ص/٧٢ ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٧٣م .

(١٩) الجواهر في تفسير القرآن الكريم : ١/٣-٥ . (٢٠) المصدر السابق : ٢/ ١١.

(٢١) من مقال الأستاذ رجاء النقاش بعنوان : " تفسير للقرآن بالخرائط و الصور " : منشور بمجلة " المصور ، بتاريخ ٣ من نوفمبر عام ١٩٧٢م.

(٢٢) الشيخ طنطاوي جوهري .. دراسة ونصوص : ص/٥٩ .

:

جراحة التجميل من منظور الفقه الإسلامي

(٤/الأخيرة)

بقلم : الأستاذ محمد غياث الدين تعلقدار
(الأستاذ المساعد بقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية - شبت غونج)

◆ ويناقش أدلة الشافعية ومن معهم :

بأن القياس على الوشم لا يصح ؛ لأن الوشم تغيير خلق الله بما هو ثابت ، وهو إيلام للحي بلا فائدة ، وثقب الأذن ليس فيه تغيير لخلق الله تعالى ، وقد أجيز لحاجة التزين .

بهذا يتبين أن الراجح ما ذهب إليه الحنفية والحنابلة من أن ثقب أذن الأنثى جائز ؛ لسلامة أدلتهم ، ولأن فيه سد حاجة فطرية عند المرأة ، وهي التزين ، ولأن الألم نتيجة الثقب خفيف جداً .

◆ المطلب الثاني - العمليات التجميلية المستجدة بتعديل قوام الأعضاء :

العمليات التجميلية التي يمارسها جراحو التجميل اليوم ؛ قسمان :

١- عمليات تعرض لها الفقهاء بالتكييف الشرعي والحكم ، كالتفليج : "تباعد الأسنان" ، وبنه الأعضه من المعادن ، كبنه أنف من ذهب أو فضة ، وإزالة الزوائد والتشوهات الخلقية ، وثقب الأذن.

٢- العمليات الجراحية المستجدة التي لم يتعرض لها الفقهاء بأحكام تفصيلية ، وتحتاج إلى حكم شرعي ، ويكون ذلك بالتخريج وتطبيق القواعد العامة ، ومن هذه العمليات :

- تغيير هيئة الأعضه بالزيادة أو النقصان .
- بنه الأعضه بحيث يستقطع جزء من الآدمي في محل

العضو المبتور .

- شد التجاعيد .
- إزالة الشحوم بعملية جراحية .

◆ أولاً - تغيير هيئة الأعضاء بالزيادة أو النقصان :

تلجأ بعض النساء وبخاصة الفتيات والممثلات إلى تغيير أشكال الأعضاء الظاهرة ، كالأنف والأذن والشفة والفك والذقن والثديين ؛ رغبة في الحسن والجمال ولفت نظر المشاهدين إليهن .

تقول (ياولاينسكو) وهي ممثلة إيطالية : لقد أقمت على عملية تجميل الأنف بوصفي ممثلة ، وليس بوصفي امرأة . وقد انقضى الآن .. كان الجميع قبل ذلك يقولون : إن عيبي الوحيد هو ذلك التقوس البسيط الذي يظهر في أنفي ، فما أن لاحت لي فرصة إجراء عملية حتى أقبلت عليها بنفس مطمئنة ، وخاصة أن الطبيب أكد لي أنه ليس هناك أي خطر منها على أن الشئ الذي أود أن أسر به إلى سائر النساء ، هو أنه لو لم تكن مهنتي هي التمثيل في السينما لما جرؤت على هذه العملية . خاصة أن فيها بعض المتاعب ، ومن ذلك : أني أمضيت أسبوعين أتنفس ليلاً ونهاراً من فمي ، ولا أستطيع أن أنقلب على الوسادة عند النوم يميناً أو يساراً ، وإلا ضاع أثر العملية (٨٥) .

وقد نشرت جريدة الأخبار القاهرية قصة (٨٦) لفتاة أمريكية استبدلت وجهها بوجه آخر ياباني حتى تستطيع أن تتزوج من الشباب الياباني الذي أحبته ...

وعن الدوافع التي تحمل النساء على طلب العلم الحديث لتغيير هيئة الأعضاء الظاهرة يقول : (البروفيسور جان فرانكو كوريجا) .

وهو متخصص في جراحات التجميل : إنها أساسا رغبة المرأة في إشباع نزعة غرور تعتريها ، أو تطلعها إلى فترة ثانية من الشباب بعد تقدمها في العمر (٨٧) .

يلاحظ مما سبق عرضه : أن دوافع عمليات تغيير هيئة الأعضاء هي :

١- إشباع نزعة غرور عند المرأة ، فتتطلع إلى تحسن مبالغ فيه بتغيير خلق الله تعالى .

٢- التدليس بأن تتطلع الكبيرة في السن إلى فترة ثانية من الشباب .

فإذا كانت هذه هي دوافع التعديل فلا يجوز إجراء تلك العملية ، ويكون الطبيب الذي أجراها والمرأة التي فعل بها ذلك آثمين ؛ لأنه تغيير لخلق الله تعالى وتدليس كما في تفليح الأسنان ، والله أعلم .

◆ ثانياً - بناء الاعضاء بحيث يستقطع جزء من الآدمي ويزرع في محل العضو المبتور :

إذا تعرض عضو من الأعضاء لبتر حادث مروري ، فهل يجوز بناؤه من جديد ؟ بحيث يستقطع جزء من الآدمي في مكان العضو المبتور ، ومن الأمثلة على ذلك : بناء الأنف حيث يستخدم في بنائه شرائح جلدية تنقل إلى الأنف إما من الجبهة أو من جدار البطن ، ثم تقوى بعظم يؤخذ إما من القفص الصدري أو الحوض .

لم يتعرض الفقهاء لمثل هذه العمليات وإنما تعرضوا لحكم بناء الأعضاء من المعادن ، كالذهب والفضة ، كما تعرضوا لحكم استقطاع قطعة من الفخذ ليأكلها المضطر ، حيث قال النووي : "ولو أراد المضطر أن يقطع قطعة من فخذه أو غيرها ليأكلها ، فإن كان الخوف منه ، كالخوف في ترك الأكل أو أشد حرم ، وإلا جاز على الأصح

بشرط ألا يجد غيره ، فإن وجد حرم قطعاً" (٨٨) .

فإذا جاز أخذ القطعة من الجسم للأكل ، وهو إتلاف لها بالكلية ؛ جاز أخذ الجلدة لزرعها في موضع من جسمه لإزالة شين فاحش ، لا سيما وأن الشين الفاحش في العضو الظاهر كخوف طول المرض ، كما قال الزركشي (٨٩) .

وينبغي أن يقيد جواز الاستقطاع بقصد الزرع بالقيود التالية :

١- أن يتعين عليه استعمال ذلك الجزء من الآدمي ، بحيث لا يوجد غيره يقوم مقامه .

٢- أن يكون الضرر المترتب على عدم الزرع بقصد التجميل أعظم من الضرر المترتب على مراعاة المحظور .

٣- أن يغلب على ظنه نجاح العملية الجراحية .

٤- أن لا يترتب على الاستقطاع ضرر أكبر ككسر أية عضو أو تلفه .

♦ ثالثاً - شد التجاعيد :

التجاعيد ظهر في الجسم نتيجة فقدان مرونة الجلد ، و وقف حيوية بعض خلاياه ، فتبدو ثنيات خفيفة على سطح البشرة ، ثم تتضاعف هذه الثنيات ، وتتعمق في داخل الجلد ، فتظهر التجاعيد .

فالتجاعيد في الشيخوخة يكون طبيعية حيث يقل مرونة الجسد ، وتقف حيوية بعض الخلايا وتظهر في الشباب نتيجة أسباب غير طبيعية منها : الإسراف في تعاطي الخمور والمنبهات والأمراض الباطنية التي تؤثر على الجهاز الهضمي والبولي وأعضائه المختلفة ، والأمراض العصبية والأمراض النفسية الكثيرة كالحزن والكدر والتعب ، والأمراض الجلدية المختلفة مثل حب الشباب ، والأرق وعدم النوم الكافي للجسم ، ومواد الزينة المصنوعة من المواد الكيماوية وغير ذلك (٩٠) .

وعملية شد تجاعيد الوجه تجري داخل شعر الرأس وخلف الأذن ، ويستغرق إجراء العملية حوالي سبعة أيام ، يكون الوجه فيها متورماً بعض الشئ ، ونتيجة هذه العملية ليست نهائية ، بل تعود التجاعيد بعد خمس سنوات (٩١) .

والحكم في عملية التجاعيد يختلف تبعاً لسن المرأة التي تفعل بها تلك العملية .

فإن كانت كبيرة في السن وحدثت فيها التجاعيد نتيجة الشيخوخة ، فلا يجوز لها فعل تلك العملية ؛ لما فيها من التدليس وإظهار صغر السن وتغيير خلق الله .

وإن كانت صغيرة في السن وحدثت فيها التجاعيد نتيجة أسباب مرضية فيجوز لها معالجة المرض والآثار المترتبة على المرض كالتجاعيد ، بشرط أن لا تؤدي تلك العملية إلى ضرر أكبر .

♦ رابعاً - عملية سحب الدهون من الجسم :

من العمليات الجراحية التجميلية عملية سحب الدهون المتراكمة نتيجة السمنة في مناطق معينة في الجسم ، حيث يتم إدخال أنبوبة امتصاص تحت الجلد ، ويسحب بواسطتها كميات كبيرة من الدهن .

لم يتعرض الفقهاء لمثل هذه العملية وإنما ذكروا حكم الأكل بقصد السمن ، والتداوي بقصد السمن ، ومن هذه الأحكام :

جاء في فتاوى قاضيخان : "امرأة تأكل الفتيت وأشباه ذلك لأجل السمن" ، قال أبو مطيع البلخي : "لا بأس به ما لم تأكل فوق الشبع" (٩٢) .

وجاء في فتاوى قاضيخان أيضاً : "ويجوز الحقنة للتداوي للمرأة وغيرها ، وكذا الحقنة لأجل الهزال ؛ لأن الهزال إذا فحش يؤدي إلى السل" (٩٣) .

وفي الفتاوى الهندية : "والمرأة إذا كانت تسمن نفسها لزوجها فلا بأس به" (٩٤) .

يلاحظ من نصوص الفقهاء السابقة : أن تعديل قوام الجسم بتناول الأطعمة أو بالامتناع عنها أو بالتداوي ؛ جائز ، ما لم يؤد إلى ضرر .

وبناء عليه : فإن عملية سحب الدهون من الجسم بقصد التداوي والعلاج جائزة ما لم تؤد إلى ضرر أكبر .

أما سحب الدهون بقصد تخفيف الوزن وتعديل قوام الجسم فيجوز بشرطين :

١- أن تتعين عملية سحب الدهون بحيث لا توجد وسيلة أخرى تقوم مقامها .

٢- أن لا يترتب عليها ضرر أكبر .

الخاتمة :

هذه هي الأحكام المتعلقة بجراحة التجميل حاولنا جهدنا في استخراج مسائلها وتحرير عللها واستخلاص القواعد الكلية الضابطة لها ، وهذه القواعد هي :

١- الجراحة تعذيب وإيلام للإنسان الحي ، فلا تجوز إلا لحاجة أو ضرورة .

٢- أن يتعين على الإنسان إجراء العملية الجراحية ، بحيث لا توجد وسيلة أخرى تقوم مقام تلك العملية في سد الحاجة أو دفع الضرورة .

٣- أن يغلب على ظن الطبيب نجاح العملية ، فلا يجوز له اتخاذ جسم الإنسان محلاً لتجاربه .

٤- أن لا يكون فيها تغيير للخلقة الأصلية المعهودة ، فلا يجوز تغيير هيئة عضو من الأعضاء بالتصغير أو التكبير إذا كان ذلك العضو في حدود الخلقة المعهودة .

٥- أن لا يكون فيها مثلة وتشويه لجمال الخلقة الأصلية المعهودة .

٦- أن لا يكون فيها تدليس وغش وخداع ، فلا يجوز للمرأة العجوز إجراء عملية جراحية بقصد إظهار صغر السن .

٧- أن لا يترتب عليها ضرر أكبر كإتلاف عضو .

٨- أن لا تكون بقصد تشبه أحد الجنسين (الذكر والأنثى) بالآخر .

٩- أن لا تكون بقصد التشبه بالكافرين ، فلا يجوز للمسلمين التشبه بالكافرين فيما يختص بهم من أمور الزينة .

١٠- أن لا تكون بقصد التشبه بأهل الشر والفجور .

وفي الختام نسأل الله أن يجبر ضعفنا ، ويقيل عثرتنا ، وسبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

والله ولي التوفيق .

---

(٨٥) محمد بن عبد العزيز عمرو : اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية : ص/٤٥٥-٤٥٦ (ط/مؤسسة الرسالة - بيروت) .

(٨٦) جريدة الأخبار القاهرية الصادرة بتاريخ ١٩٧٧/٥/٢٠م ، نقلاً عن المرجع السابق : ص/٤٦١ .

(٨٧) المرجع السابق : ص/٤٥٧ .

(٨٨) النووي : روضة الطالبين : ج/٣ ، ص/٢٨٥ .

(٨٩) الشربيني : مغني المحتاج : ج/٤ ، ص/٣٠٦ ، محمود السرطاني : حكم التشريح وجراحة التجميل - مجلة دراسات - العدد الثالث ، سنة ١٩٨٤م : ص/١٥٥ .

(٩٠) العمليات الجراحية وجراحة التجميل : ص/١٣٧-١٣٧ ، لنخبة من أساتذة كلية الطب (ط/دار المعرفة - بيروت) .

(٩١) المرجع السابق : ص/١٣٩ .

(٩٢-٩٣) قاضيخان : الفتاوى : ج/٣ ، ص/٤٠٣ .

(٩٤) الفتاوى الهندية : ج/٥ ، ص/٣٥٥-٣٥٦ .

الخلع في الإسلام

(١) بقلم : الأستاذ حسيب الرحمن مجيب الرحمن الندوي
(الدوحة - دولة قطر)

◆ نظرة الإسلام نحو الحياة الزوجية :

إن الإسلام يريد للحياة الزوجية التي تقوم باسم الله وعلى سنة الرسول الكريم ﷺ أن تستقر وتستمر ما بقيت دعائمها الأساسية قائمة ، وهي السكون والمودة والرحمة ، واستقرار الحياة الزوجية غاية من الغايات التي يحرص عليها الإسلام ، يريد الإسلام استبعاد جميع وسائل الخوف والقلق رغبة في دوام العلاقة الحميمية بين الطرفين وتنشئة الأطفال تنشئة صالحة ، بعيداً عن الأمراض الاجتماعية الخطيرة إلى أن تنتهي الحياة وإن فقدت الدعائم القوية التي يقوم عليها صرح العلاقة الزوجية وكيان الأسرة المتينة الأركان ، فلا يصح فرض الصحبة بالإكراه لكي تبقى الحياة الزوجية في نار من جحيم من غير أن يعود ذلك بفائدة من الفوائد التي يريدها الإسلام للمجتمع الإنساني .

◆ نظرة الإسلام نحو الخلع :

و لهذا يشرع الإسلام للرجل حق إنهاء الحياة الزوجية بالطلاق ، ويشرع في مقابله للمرأة حق إنهائها بالخلع .

وهنا تظهر حقيقة الإسلام ومراعاته للنفس الإنسانية وعدله للمرأة في مختلف مجالات الحياة وخاصة في العلاقة الزوجية التي كثيراً ما قيل عنها أن المرأة فيها مهضومة الحقوق .

يقول الأستاذ محمد عثمان الخشيت وهو يتكلم عن الحقوق

التي أعطاها الإسلام للمرأة في الحياة الزوجية :

"كما يعطي الإسلام للزوج حق طلاق زوجته التي يكرهها ولا يطيق الحياة معها يعطي كذلك للزوجة حق الانفصال عن زوجها التي تكرهه ولا تطيق الحياة معه ... البقرة ، ولايح .. فيم افتدت" ٢٢٩ (١) .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في إحدى مقالاته في موضوع الخلع :

"يريد الإسلام للحياة الزوجية أن تبقى وتدوم ما بقيت دعائمها الأساسية قائمة ، وهي السكون والمودة والرحمة ، فإن فقدت فلا معنى لفرض الصحبة بالإكراه .

ولهذا أعطى للرجل حق إنهاء الحياة الزوجية بالطلاق ، وأعطى في مقابله للمرأة حق إنهائها بالخلع ، وذلك عند تعذر الوفاق في كلا الحالين ، وفي هذا قيل : إن لم يكن وفاق ففراق" (٢) .

لا شك أن الإسلام شرع الخلع إلا أنه دواء وليس شيئاً محبوباً يدعو إليه الإسلام ، فقد ورد في الأحاديث النبوية ما يستنكر الخلع والطلاق معاً .

أخرج الترمذي عن ثوبان عن النبي الكريم ﷺ قال : "المختلعات هن المنافقات" .

كما روى الترمذي عن النبي الكريم ﷺ : "أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة" .

◆ تعريف الخلع في اللغة :

أحسن ما جاء في التعريف اللغوي لكلمة الخلع هو قول ابن

(١) الدليل الفقهي للمرأة المسلمة في العبادات والمعاملات : ص/٣٦٣ .

(٢) الزيادة في الخلع على ما أعطى الزوج للمرأة - الدكتور يوسف القرضاوي.

منظور في لسان العرب وقد نقله لنا الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه : (المفصل في أحكام المرأة) .

جاء في لسان العرب لابن منظور : خلع الشئ يخلعه خلعه واختلعه كنزعه ، وخلع النعل والثوب والرداء يخلعه خلعاً : جرده .

وخلع امرأته خلعاً بضم الخاء وخلاعاً فاختلعت وخالعته : أزالها عن نفسه وطلقها على بذل منها له فهي خالع والاسم الخلعة .

وقد تخالعا واختلعت منه فهي مختلعة ، وسمى الفراق بين الزوجين خلعاً لأن الله تعالى جعل النساء لباساً للرجال والرجال لباساً لهن ؛ فقال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ * وَأَنْتَ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ وهي ضجيعه وضجيعته ، فإذا افتدت المرأة بمال تعطيه لزوجها ليبينها منه فأجابها إلى ذلك ، فقد بانت منه وخلع كل واحد منها لباس صاحبه والاسم من كل ذلك الخلع (٣)

◆ الخلع في اصطلاح الفقهاء :

اختلفت ألفاظ الفقهاء في التعريف بالخلع وذلك لاختلاف مذاهبهم في القضية وسوف نتعرض له فيما يلي .

جاء في الموسوعة الفقهية الصادرة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت :

"أما الخلع عند الفقهاء فقد عرفوه بألفاظ مختلفة تبعاً لاختلاف مذاهبهم في كونه طلاقاً أو فسخاً ...

وتعريف عند الجمهور في الجملة ؛ هو : فرقة بعوض مقصود لجهة الزوج بلفظ طلاق أو خلع" (٤) .

---

(٣) المفصل في أحكام المرأة : ص/١١٣ .

(٤) الموسوعة الفقهية : ١٩/٢٣٤.

◆ الخلع في فقه الحنفية :

جاء في الدر المختار : "الخلع إزالة ملك النكاح المتوقفة على قبول الزوجة بلفظ الخلع أو ما في معناه" (٥) .

◆ الخلع في فقه الحنابلة :

جاء في كشاف القناع : "الخلع فراق الزوج امرأته بعوض يأخذه الزوج من امرأته أو غيرها بألفاظ مخصوصة" .

◆ الخلع في فقه المالكية :

جاء في الشرح الكبير للدردير في فقه المالكية : "هو لغة : النزع ، وشرعاً : طلاق بعوض" .

◆ الخلع في فقه الشافعية :

جاء في مغني المحتاج : "الخلع في الشرع فرقة بين الزوجين بعوض مقصود راجع لجهة الزوج بلفظ طلاق أو خلع" .

◆ الخلع في فقه الظاهرية :

ورد في المحلى في فقه الظاهرية : "الخلع هو الافتداء إذا كرهت المرأة زوجها فخالفت ألا توفيه حقه أو خافت أن يبغضها فلا يوفيها حقها فلها أن تفتدي منه ويطلقها إن رضي هو" (٦)

◆ مشروعية الخلع في الإسلام :

وقد ثبتت مشروعية الخلع بالقرآن والسنة والإجماع .

◆ أدلة مشروعية الخلع من القرآن الكريم :

فأما القرآن فقد قال تعالى في سورة البقرة ، الآية/٢٢٩ : ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوْا مِمَّا آتَيْتُمُوْهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَّخَافَا أَلاَّ يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللهِ * فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيْمَا حُدُوْدَ اللهِ * فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيْمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ .

---

(٥) الدر المختار : ٣/٤٢١-٤٣٩.

(٦) المفصل في أحكام المرأة : ص/١١٤ .

♦ أدلة مشروعية الخلع من السنة النبوية :

وأما السنة ؛ فقد جاء فيها عدة أحاديث صحاح ، منها ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس ﷺ قال :

"جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي الكريم ﷺ فقالت : يا رسول الله ! ما أنقم على ثابت في دين و لا خلق إلا أني أخاف الكفر ، فقال رسول الله ﷺ : فتردين عليه حديقته ؛ فقالت : نعم ، فردت عليه وأمره ففارقها" .

وقد ورد نفس الحديث بكلمات أخرى :

روى البخاري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي الكريم ﷺ ؛ فقالت : يا رسول الله ! ما أعيب عليه في خلق ولا دين ، ولكن أكره الكفر في الإسلام" ، فقال لها الرسول الكريم ﷺ : "أتردين عليه حديقته ؟" (وكان شماس قد أمهرها حديقة) قالت : "نعم" ، فقال الرسول الكريم ﷺ لشماس : "اقبل الحديقة وطلقها تطليقة" .

وكذلك أخرج الترمذي في جامعه عن ابن عباس قوله : "إن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها على عهد النبي ﷺ" .

♦ أدلة مشروعية الخلع من الإجماع :

فقد جاء في الموسوعة الفقهية : "أما الإجماع فهو إجماع الصحابة والأمة على مشروعيته وجوازه" (٧) .وقد نقل الأستاذ عبد الكريم قول ابن قدامة الحنبلي ؛ فقال : "وبهذا - أي بجواز الخلع - قال جميع الفقهاء بالحجاز والشام" ؛ كما قال ابن حجر العسقلاني : "انعقد الإجماع على اعتبار الخلع" (٨) .

---

(٧) الموسوعة الفقهية : ٢٤١/١٩. (٨) المفصل في أحكام القرآن : ص/١١٦ .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : "وأما الإجماع فقد اتفقت المذاهب جميعها ، والفقهاء كلهم على مشروعية الخلع ، يقول الحافظ ابن كثير في تفسير الآية/٢٢٩ من سورة البقرة : إذا تشاقق الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته ولم تقدر على معاشرته ، فلها أن تفتدي منه بما أعطاها ، ولا حرج عليها في بذلها له ، ولا حرج عليه في قبول ذلك منها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله .. ﴾ .

فأما إذا لم يكن لها عذر وسألت الافتداء منه فقد ذكر ابن كثير هنا الحديث الذي رواه ابن جرير والترمذي وأبو داؤد عن ثوبان مرفوعا : "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة" (٩) .

♦ حكم الخلع في الإسلام :

الخلع في الإسلام ليس شيئا مرغوبا فيه بل هو مثلا الطلاق جائز ولكن أبغض الحلال عند الله ﷻ .

♦ الأحاديث النبوية في الخلع :

وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب رغم كون الخلع مشروعا.

فقد روى الترمذي رحمه الله عن ثوبان ﷺ عن النبي الكريم ﷺ قال : "المختلعات هن المنافقات" .

وأخرج أحمد والنسائي رحمهما الله عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : "المنتزعات والمختلعات هن المنافقات" .

وقال الترمذي في جامعه : وروي عن النبي الكريم ﷺ قوله : "أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة" .

---

(٩) القرضاوي في مقاله : (الزيادة في الخلع على ما أعطى الزوج للمرأة) .

◆ آراء الفقهاء في الخلع :

نذكر فيما يلي آراء عدد من الفقهاء في الخلع .

قال ابن حجر العسقلاني : "هو - أي الخلع - مكروه إلا في حالة مخافة ألا يقيما أو أحد منهما ما أمر به" .

جاء في مغني المحتاج : "الخلع مكروه لما فيه من قطع النكاح الذي هو مطلوب الشرع" .

ورد في كشاف القناع : وإن خالعته المرأة مع استقامة الحال كره ذلك لحديث ثوبان ﷺ أن النبي الكريم ﷺ قال : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة" .

جاء في غاية المنتهى : يباح - الخلع - لسوء عشرة ولمبغضة لخلقه أو خلقه وتخشى ألا تقيم حدود الله" .

فقد ظهر من الأحاديث النبوية وآراء الفقهاء الكبار أن الخلع غير مرغوب فيه في الشرع .

يقول الأستاذ عبد الكريم زيدان بعد ما يسوق الأحاديث والأقوال في هذا الباب :

"من الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرناها ، يستخلص أن طلب المخالعة غير مرغوب فيه في الشرع ، وأن التي تطلبه من غير مبرر شرعي ينتظرها تهديد شديد بحرمانها من الجنة ، وهذا يدل على أن الأصل في الخلع هو الحظر وإنما يجوز للحاجة ، وكذلك أقوال الفقهاء تشير إلى أن الأصل هو الحظر ، لأنه طلاق والطلاق في الأصل محظور وإنما يجوز للحاجة" (١٠) .

◆ حكم طلب الخلع :

حكم طلب الخلع في الفقه الإسلامي يتردد بين المباح والمكروه والحرام والوجوب كذلك كما ذكره ابن تيمية رحمه الله .

(١٠) المفصل في أحكام المرأة : ص/١١٩ .

يباح للزوجة إذا كرهت زوجها بسبب طبيعي كدمامته وقبح صورته أو إذا كرهته لسبب شرعي كتقصيره في أداء ما يجب عليه شرعا .

◆ رأي الظاهرية :

فقد جاء في المحلى لابن حزم الظاهري : "إذا كرهت المرأة زوجها فخافت أن لا توفيه حقه ، أو خافت أن يبغضها فلا يوفيها حقها فلها أن تفتدي منه" .

◆ رأي الشافعية :

جاء في المهذب للشيرازي : "إذا كرهت المرأة زوجها لقبح منظر أو سوء عشرة وخافت أن لا تؤدي حقه ، جاز أن تخالعه على عوض" .

◆ رأي الحنفية :

جاء في الهداية : "وإذا تشاق الزوجان وخافا أن لا يقيما حدود الله ، فلا بأس أن تفتدي نفسها منه بمال يخلعها به" (١١) .

◆ رأي الحنابلة :

الخلع عند الحنابلة على ثلاثة أوجه : الوجه الأول : هو مباح وهو أن تكره المرأة البقاء مع زوجها ، وتخاف أن لا تقيم حدود الله ، فلها أن تفتدي نفسها منه لقوله ﷻ : ﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله * فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ .

الوجه الثاني : هو مكروه إذا خالعته من غير سبب مع استقامة الحال لحديث ثوبان ﷺ ، ولأنه عبث فيكون مكرها .

الوجه الثالث : وهو محرم إذا كانت الحال بين الزوجين جيدة والأخلاق ملائمة ، فقد جاء في الموسوعة الفقهية :

"هذا ؛ واختار ابن المنذر عدم جواز الخلع حتى يقع الشقاق منهما جميعا وتمسك بظاهر قوله تعالى : ﴿ إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ﴾ (١٢) .

(يتبع)

(١١) المفصل في أحكام المرأة : ص/١٢٠ .

(١٢) الموسوعة الفقهية : ٢٢٢/١٩ .

مكانة المرأة :

ما هي المرأة ؟

بقلم : الدكتور جاويد أحمد خان الندوي
(قسم اللغة العربية وادابها بجامعة عليكره الإسلامية - الهند)

أعطى الإسلام مكانة رفيعة للمرأة بنتاً وأختاً وأمّاً وزوجةً فالأم تفوز بمنزلة عالية في الأسرة فقد فرض الإسلام على الأولاد أن يبروا بها وبشر لهم بالجنة التي كانت تحت أقدام الأمهات وتعتبر الزوجة نصف الإيمان للزوج في الإسلام وكذلك البنت والأخت لهما أهمية كبيرة في المجتمع الإسلامي .

أما الإسلام فإنه لم يثقل المرأة بمسئوليات الكسب والعمل وتوفير أسباب المعاش ذاك أنها تعاني آلام المحيض والحمل والولادة والرضاعة وتدبير الشئون المنزلية مما يجعلها في غنى عن كل تبعة مما يتحمله الرجل وقد شهد بذلك كتاب الله تعالى ؛ فقال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً * وَّ وَضَعَتْهُ كُرْهاً * وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُوْنَ شَهْراً ﴾ (١) .

وكما منحها الإسلام درجة البنت والأخت والزوجة والأم وزوجة الابن والمعلمة وحافظة البيت وسلم إليها جميع هذه المسئوليات في الأحوال العامة كذلك يروى في الأحاديث عن مشاركتها في الجهاد بما يساعد المجاهدين في سبيل الله .

ولا شك كانت المرأة في الجاهلية ذات خطر ، يخبرنا التاريخ

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ١٥ .

بنساء مشهورات بالشجاعة والجرأة والكمال ، كن يشاركن في الحروب مع الرجال مشاركة فعلية ، فقد جاء في التاريخ أن رقاش كانت امرأة ذكية معروفة وكانت تقود قبيلة طئ في جميع غزواتها و حروبها ، وقد سقط لواء قريش في معركة أحد وكانت الحرب دامية ، وما زال هذا اللواء صريعاً حتى رفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فلاذوا بها وقاتلوا ، ومن المعلوم أن هند بنت عتبة كانت تحمس الرجال يوم أحد بالغناء والضرب على الدفوف ، وأنها هي التي مضغت كبد حمزة ﷺ (٢) .

والإسلام ما أسأ إليها الأدب في أي مكان وما أقل كرامتها وما جعلتها لعبة يتلهى بها الرجل ، وما جعل جسمها عدةً للبيع والشراء بل حرم ذلك تحريماً باتاً ورفع مكانتها على كثير من الرجال البارزين ، لذا نرى رسول الله ﷺ يجيب الرجل الذي سأله من أحق الناس بحسن صحبتي بقول : أمك ! فيقول الرجل : ثم من ؟ فيقول : أمك ! فيعود الرجل للسؤال ؛ فيقول : ثم من ؟ فيقول : أمك ! فيعود الرجل رابعة إلى السؤال ، ثم من ؟ فيقول : ثم أبوك ، ثم أدناك فأدناك (٣) .

ولا شك أن هذا المنطق النبوي الكريم ، هو منطق الطبيعة والفطرة فضلاً عن كونه شريعة السمك ، وفريضة الله رب العالمين ، كان للمرأة في الإسلام دور مهم في بناء المجتمع الأفضل وهي مسئولة

(٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلي - أحمد محمد الحوفي ،الطبعة الثانية ، (مكتبة نهضة مصر ومطبعها ، سنة ١٩٥٢م) : ص/١٧٥ .

(٣) مسلم في كتاب البر والصلة والآداب .

عن اتباع طريق المؤمنين والتمسك بتعاليم الدين ، وقد سجلت المرأة المسلمة في التاريخ مواقف جريئة كريمة في هذا المجال وكانت سبباً لازدهار الأسر والعائلات ، وتوجيه الرجال إلى حياة العز والسعادة والاتصال بشريعة الله ورسوله ﷺ وبذلك أسدت المرأة إلى الرجال منة وأنقذتهم من المهالك ومواقف الشقاء والتعاسة وحولت الحياة من جحيم الشهوات والجرائم والتلوثات الخلقية إلى جنة الحب والسعادة والسرور .

يقول الكاتب الشهير محمد فريد وجدي عن هذه المرأة الفاضلة بهذه الكلمات : "المرأة كائن شريف خصصتها القدرة الإلهية لتكثير النوع الإنساني فوظيفتها من هذه الحيثية سامية جداً ولا يستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه" (٤) .

المرأة المسلمة في ضوء التوجيهات السماوية نحو مستقبل باسم تزدهر فيه الفضائل وتتوافر فيه أسباب السعادة لمجتمع الإنسانية الواسعة ، إنها مثلت أروع دور في بناء الإنسان الكامل الذي ملأ العالم بالنور والسعادة والأمن والسلامة وحوّل العالم البشري من الاضطهاد إلى المروءة يرتبط فيها البعض بالبعض على أساس من العقيدة الصافية والحب والإخلاص والنصح ويتصل بالله تبارك وتعالى كعبد خاشع يلتجئ إليه في شئون الحياة ويطلب منه العون على أداء المسئوليات ويتوب إلى الله فيما إذا صدر منه إثم أو تقصير في القيام بالواجب الذي يعود إليه من الله ومن الناس .

إنها المرأة المسلمة التي أنجبت أبطال الإسلام والتاريخ وأعلام

(٤) المرأة المسلمة - محمد فريد وجدي (مطبعة الترقي ، شارع عبد العزيز بمصر، سنة ١٩٠١م) : ص/١٤ .

الإنسانية وهي التي قامت بالتربية الجادة الحكيمة فخرجت أجيالا ممن كانوا مفاخر الدنيا ومنابر النور وساعدهم التوفيق الرباني في بناء الإنسان المطلوب وإخراج الناس من الشقاء إلى السعادة ، والتاريخ يزخر بأمثالهم جاء في كتاب محمد فريد وجدي بأن وجدان المرأة أضعف من وجدان الرجل بقدر ضعف عقلها عن عقل الرجل ولأخلاقها طبيعة أخرى غير طبيعة أخلاق الرجل (٥) .

فالمرأة ضعيفة في العقل والبنية ولكنها قوية في الإرادة والعزم ، وهي منطوية على نفسها ولكنها محدثة للثورة ، وهي مفتقرة إلى من يكفلها وينفق عليها ولكنها مربية للجيل ومرشدة للإنتاج الجديد وقد تكون موجهة لمن تتكفل به ويعولها ولا شك إن هذه المرأة قدمت أمثلة رائعة ونماذج عملية في صور شتى وأشكال مختلفة ، والمرأة اليوم تستطيع أن تأتي بما أتت به وأن تقوم بدور فعال ملموس كما قامت به من قبل ولكن لا تتسنى هذه الأعمال لإحداها حتى تتمكن من إنشاء الإيمان القوي وإيجاد اليقين الكامل في القلوب ، لأن الإيمان هو الدافع القوي الحافز المتين لمواجهة الأخطار .

هذا في ناحية وأما في ناحية أخرى فان قاسم أمين قد جعل المرأة والرجل متساويين في العقل ، وحاول أن يثبت كل قوة في المرأة تساوى كل قوة في الرجل وكل ملكة فيها تساوى كل ملكة فيه ، انظروا إلى هذه الكلمات : "وإنما يظهر للناظر وجود فرق عظيم بينهما في العقل لأن الرجال اشتغلوا بأجيال عديدة بممارسة العلم فاستنارت عقولهم وعزيمتهم بالعمل بخلاف النسء فإنهن حرمن من

(٥) المرأة المسلة - محمد فريد وجدي (مطبعة الترقي بمصر ، سنة ١٩٠١م) : ص/١٦ .

كل تربية فما يشاهد الآن بين الصنفين من الفروق هو صناعي لا طبعي" (٦) .

وقد أثبتت بحوث العلم والتحقيق أن المرأة تختلف من الرجل في كل شئ في الصورة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم ومع بلوغها سن الشباب يعتريها المحيض الذي تتأثر به كل أعضائها وجوارحها ، وتدل أبحاث العلماء لعلوم الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها في مدة حيضها التغيرات الآتية تتأثر بها كل امرأة :

١- تقل في جسمها قوة إمساك الحرارة فتتخفض حرارتها .
٢- يبطؤ النبض وينقص ضغط الدم ويقل عدد خلاياه .
٣- تصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللِمفاوية بالتغير.
٤- يختل الهضم وتضعف قوة التنفس .
٥- يتبلد الحس ، وتتكاسل الأعضاء والفطنة وقوة تركيز الفكر (٧) .

مما لا شك فيه أن قاسم أمين قد تأثر بالغرب كثيراً ولذلك ترى فكر الغرب في فكره وبالتالي أنه جعل المرأة متساوية مع الرجل في الأعضاء والوظائف والأحاسيس والأفكار فالمرأة عنده مثل الرجل والرجل مثل المرأة في كل شئ لاحظوا هذه العبارة التالية أنه يشير إلى ذلك الأمر ، ويقول : "المرأة وما إدراك ما المرأة إنسان مثل الرجل لا تختلف عنه في الأعضاء و وظائفها ولا في الإحساس ولا في الفكر ولا في كل ما تقتضيه حقيقة الإنسان من حيث هو إنسان إلا بقدر ما

(٦) المرأة الجديدة - قاسم أمين (مطبعة المعارف مصر ، سنة ١٩٠٠م) : ص/٤٧ .
(٧) البعث الإسلامي - سعيد بن عبد الله سيف الحاتمي (ندوة العلماء ، لكناؤ) ربيع الأول ، سنة ١٤٠١هـ : ص/٨٣ .

يستدعيه اختلافهما في الصنف" (٨) .

والمرأة في الإسلام رمز الطهر والعفاف والحياة والنبل والفضيلة ومنبع الحنان والرحمة والمودة وهي الأم التي وضعت الجنة تحت أقدامها والزوجة هي شرف الأسرة كلها والبنت تتجدد بها حياة الإنسانية والأخت في الأسرة وفي المجتمع ، يعرف الرجال الشرفاء حقوقها ويحفظون حرمتها ويقدمون لها التكريم والتقدير ويعاملونها بمنتهى الأدب واللياقة والإكرام والإعزاز ويتحملون.ويحاربون لكي لا تصيب أذية بها ، ونحن ندرس في العصر الجاهلي أن الحروب الكثيرة وقعت لاحتفاظ عرض النساء وكرامتهن .

فحرب ذي قارشبت بسبب صيانة النعمان بناته عن تزويجهن من الفرس ، وحرب البسوس التي دامت أربعين سنة والتهمت الأخضر واليابس وكاد الفريقان فيهما يفنيان ، نشبت هذه الحرب حفظا لجوار امرأة ، وحرب الفجار الثاني في عكاظ كانت أيضا انتصارا لكرامة امرأة (٩) .

هكذا أن المرأة كانت صورة مجتمعها بتدوين خلال جميع ظواهره وتشارك في أحداثه كلها ، تتأثر بالدين كما يتأثر الرجل وتربى الأولاد على البطولة كما يفعل الرجال وهذا بدون فرق ، وهذه المرأة تعاون الرجال في الحروب والنضال فلا تقل عن الرجال في الأهمية ، تقف إلى جوارهم في المعامع ومشتجر الأسنة وهذا مع الرجال سواء بسواء (١٠) .

(٨) تحرير المرأة - قاسم أمين (مطبعة القاهرة سنة ١٣٤٧هـ) : ص/١٥ .
(٩) الإسلام والمرأة - سعيد الأفغاني (ط/٢ ، دار الفكر دمشق ١٩٦٤م) : ص/٢٠ .
(١٠) المرأة في حضارة العرب - محمد جميل بيهم (ط/١ ، سنة ١٩٦٢م ، مكتبة دار النشر للجامعيين) : ص/٩٣ .

وأما ما أعطاه الإسلام للرجل من إعطاء المرأة حقها من السلوك الطيب والاعتراف بكرامتها الإنسانية فهو كثير وموافق لما تستحقه ، أما درجته على المرأة فليست لفضيلته عليها في الكرامة الإنسانية ، بل بما يقوم به دونها من مسئولية التكفل والقوامة ، قيدها ببعض القيود دون الرجل فليس تقييد لحريتها الإنسانية بل إنه بسبب ضعف في بعض القدرات الفطرية ، فالرجل أقدر على ذلك من المرأة جعل الله جسد الرجل أكثر قوةً وثباتاً وجعل فكره أكثر انضباطاً وتعقلاً للأمور ، فعندما نجد المرأة أقل قدرة لأداء الأعمال الثقيلة نجد أن أوقاتها إنما تتخللها حالات تقطع مداومتها لأداء المسئوليات بسبب وقوعها في العوارض النسائية ، ثم إنها أكثر مرونة في الشئون العاطفية فلا تصمد عند الاحتكام إلى العقل كما يصمد الرجل فجعل الإسلام شهادتها نصف شهادة الرجل ثم بمقتضى التنظيم الاجتماعي يليق بالرجل أن تسند إليه القوامة والرئاسة لأنه أقدر عليها و وقته أوسع لها منها ، وهذه الفضيلة هي كفضيلة الأمير على رفاقه وأعضاء أسرته وكفضيلة الأخ الأكبر على إخوته الصغار وليست كفضيلة المالك على المملوك أو كفضيلة عزيز على ذليل ، فقد جاء في الحديث الشريف : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها" (١١) .

أما على المستوى الإنساني ومن ناحية السلالة الآدمية والنسب فإن القرآن الكريم يذكرهما على مستوى واحد ، يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس ! اتَّقُوْا رَبَّكُمُ * الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ *

(١١) رواه البخاري في كتاب الجمعة والجنائز والاستقراض والوصايا .

وَّخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا * وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْراً وَّنِسَاءً * وَّاتَّقُوْا اللهَ الَّذِيْ تَسَآءَلُوْنَ بِهِ وَالأَرْحَامَ * إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً ﴾ (١٢) تدل هذه الآية على أن المرأة خلقت من الرجل وكلاهما من نفس واحدة وانتشر منهما الأبناء والبنات على مستوى واحد ، ثم إن العلاقات التي قامت بين الجنسين أصبح الحفاظ عليها ورعايتها من مسئولية الجميع وأن الله يراقب أداء الإنسان لحقوق هذه العلاقات .

ولا ريب في أن المرأة لباس الحياء والعفة وخاصة لباس الرجال جعلها الإسلام سيدة البيت ومربية الجيل وصانعة التاريخ ، وهكذا قرر لها الإسلام دورها معونةً في إسعاد الحياة والمجتمع كما يشهد بذلك كتب السيرة والتاريخ ، فنظراً إلى أهمية هذه المرأة يناسب هنا أن يوجه النظر إلى أرض مصر حيث ظهر عدد وجيه من النساء في مجال الحرب والنضال ، وقمن بأعمال جليلة في تدبير الحرب ضد أعدائهن ، فمن الذي منا لا يعرف "هدى شعراوي" ولا شك أنها كانت نموذجاً للقائد العظيم الذي يعرف متى يدير الحرب والمعركة ، وكيف يديرها أنها كانت أبرع من يختار الوقت المناسب ثم ينظم حملة من الدعاية الواسعة لتأييد هدفه المباشر ثم يتحرك نحو هذا الهدف فلا يلبث أن ينتصر (١٣) .

في الواقع أن الرجل والمرأة صنوا إنسانية واحدة ، يستويان في الشرف الإنساني ، جعلها الإنسان مشتركين في الكرامة ومستحقين بالحقوق الإنسانية على مستوى واحد ، ذكرهما الله تعالى متساويين في

(١٢) سورة النساء ، الآية : ١ .

(١٣) المرأة المصرية - شفيق درية ، سنة ١٩٥٥م : ص/١٤٥ .

موضع ذكرهما معاً ؛ فقد قال : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ * وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ * وَالْقَانِتِيْنَ وَالْقَانِتَاتِ * وَالصَّادِقِيْنَ وَالصَّادِقَاتِ * وَالصَّابِرِيْنَ والصَّابِرَاتِ * وَالْخَاشِعِيْنَ وَالْخَاشِعَاتِ * وَالْمُتَصَدِّقِيْنَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ * وَالصَّائِمِيْنَ وَالصَّائِمَاتِ * وَالْحَافِظِيْنَ فُرُوْجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ * وَالذَّاكِرِيْنَ اللهَ كَثِيْراً وَّالذَّاكِرَاتِ * أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَّأَجْراً عَظِيْماً ﴾ (١٤) .

ولا شك عندما تتدبر في هذه الآية الكريمة تجد أن الله سبحانه وتعالى ذكر المرأة بصفات صالحة ، فقد ذكرها بالطهر والعفاف والإنابة والخشية لله وأعمال الخير ، و وعدها على ذلك بالأجر العظيم في الآخرة على مستوى واحد مع الرجال ، وشرع الإسلام للمرأة حقوقاً تعادل حقوق الرجال باختلاف ما تقتضيه فطرة المرأة ومصلحتها وبمدى قدرتها على أداء مسئوليات الحياة التي تتعلق بها ، فقد قال رسول الله ﷺ : "إنما النساء شقائق الرجال" (١٥) .

وأما بالنسبة إلى كونها زوجة ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : "إن الدنيا كلها متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" (١٦) .

***

(١٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٥ .

(١٥) رواه الترمذي في الطهارة في كتاب الرضاع .

(١٦) رواه مسلم في كتاب الرضاع .

وقفة في قول الله تعالى :
((فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيْمَا آتاهُمَا))

بقلم : الأستاذ عبد الرشيد الندوي

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلّم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد !

قال الله ﷻ في تنزيله :

هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ * وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا * فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيْفاً * فَمَرَّتْ بِهِ * فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا * لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيْمَا آتَاهُمَا * فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ (الأعراف/١٨٩-١٩٠) .

إن هذه الآية الكريمة تستوقف القارئ المتأمل وتدعوه إلى إعمال الفكر والإمعان فيها ، حتى قال الإمام المفسر الآلوسي رحمه الله : هذه الآية عندي من المشكلات ، وقال : الإنصاف أن الأسئلة والآية على هذا الوجه من قبيل اللغز (١) .

(١) انظر "روح المعاني" في تفسير هذه الآية ، هذا ، وقد تحدث ابن قتيبة الدينوري رحمه الله عن السرّ في مثل هذه الآية في كتابه الفريد "تأويل مشكل القرآن" ص/٨٦ ، فقال : إن القرآن نزل بألفاظ العرب ، ومعانيها ، ومذاهبها في الإيجاز ، والاختصار ، والإطالة ، والتوكيد ، والإشارة إلى الشئ ، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللّقِن ، وإظهار بعضها ، وضرب الأمثال لما خفي . <<<

◆ الرأي الأول :

ذهب ثلة من العلماء إلى أن المراد بالضمير في قوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ آدم وحواء كما هو المتبادر ، ثم أولوا الإشراك بأنه كان في الاسم لا في العبادة ، واختاره الطبري فقال : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله : جعلا له شركاء في الاسم لا في العبادة ، وأن المعنيّ بذلك آدم وحواء ، ومال إليه الشوكاني في "فتح القدير" والآلوسي في "روح المعاني" بعد أخذ و ردّ شديد .

◆ أدلة هذا الرأي :

استدل هؤلآء بما روي عن سمرة بن جندب ﷺ مرفوعاً قال : لما حملت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سميه عبد الحارث ، فسمته عبد الحارث ، فعاش ذلك ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره .

رواه الترمذي : في التفسير رقم الحديث/٣٠٧٧ ؛ وقال : هذا حديث حسن غريب ... وأحمد رقم/٢٠١١٧ ، والحاكم في المستدرك : ج/٢ ، رقم/١٢/٤٠٠٣ وصححه ، ورواه الطبراني في الكبير رقم/٦٨٩٥ .

واستندوا بأن الحبر ابن عباس ، وقتادة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة وغيرهم من السلف قد روي عنهم هذا القول كما

<<< ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس ، وسقطت المحنة ، وماتت الخواطر ؛ ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة ، انتهى ، ولا شك أن الموعظة والهدى والتذكر والاعتبار مُيسّر سهل لمن ألقى السمع وهو شهيد ؛ كما قال عز من قائل : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ * فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ وهناك حكم كثيرة وأسرار لطيفة تنكشف لمن فتح الله عليه .

رواه الطبري بإسناده إليهم ، ويقولون : إنهما لم يذهبا بتسمية ولدهما عبد الحارث أن الحارث ربهما ومعبود هما لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب الإحسان إليهم بنجاة ولدهما ، فسمياه به كما يسمي الكريم نفسه عبد ضيفه كما قال حاتم الطائي :

و إني لعبد الضيف ما دام ثاويا
و ما في إلا تيك من شيمة العبد

◆ الرأي الآخر :

وخالفهم بعض المحققين وعلى رأسهم الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمه الله ؛ فقال في تفسيره : ج/٢ ، ص/٢٦٣ .

إن هذا الحديث - المذكور أعلاه - معلول بثلاثة أوجه أحدها : أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري ، وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ... الثاني : أنه روي من قول سمرة ليس مرفوعا ... الثالث : أن الحسن البصري - وهو راوي الحديث عن سمرة - قد فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه ... فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع - والله أعلم - ثم نقل بعض الآثار عن ابن عباس ، وقال : وقد تلقى هذا الحديث عنه من أصحابه كمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، ثم تكلم عن الإسرائيليات وموقف الشرع منها ، ثم قال : فأما من حدث بهذا الأثر من صحابي أو تابعي فإنه يرى أنه من القسم الذي يأتي تحت قوله ﷺ : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" وقوله : "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من السياق

آدم و حواء ، و إنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، و لهذا قال : ﴿ فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴾ فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيْحَ * وَجَعَلْنَاهَا رُجُوْماً لِلشَّيَاطِيْنِ ﴾ ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يُرمى بها ، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ، ولهذا نظائر في القرآن - والله أعلم - انتهى قول ابن كثير ملخّصاً .

وهذا قول نفيس للغاية لقد أطال فيه الإمام النفس وأحسن وأجاد ، وأطاب وأفاد ، وعَذَرَ السلف واعتذر عنهم وجَمَع بين مقتضى النقل والعقل ثم اختار قولاً هو أقرب وأشبه وأمثل استحسنه كثير من العلماء بعده واستطابوه من أمثال جمال الدين القاسمي في تفسيره المسمى : "محاسن التأويل" والسيد رشيد رضا في تفسيره "المنار" والشنقيطي في "أضواء البيان" وسعيد حوى في "الأساس في التفسير" والصابوني في "صفوة التفاسير" رحمهم الله.

وقد ذهب إليه من قبل أبي الفداء الإمام الناصر في "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" ؛ فقال : "الأسلم والأقرب - والله أعلم - أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى ، لا يقصد فيه إلى معين" ، ومال إلى ذلك الإمام القرطبي ، وصرح به الإمام ابن القيم رحمهم الله جميعاً ، قال ابن القيم في "التبيان في علوم القرآن" ٣٨٣ : الاستطراد أسلوب لطيف جداً في القرآن وهو نوعان ... ثم قال : النوع الثاني : أن يستطرد من الشخص إلى نوعه كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِّنْ طِيْنٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِيْ قَرَارٍ مَّكِيْنٍ ﴾ فالأول : آدم ، والثاني : بنوه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ * وَّجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا * فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيْفاً * فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ الآية ؛ فاستطرد من

ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما - والله أعلم - انتهى .

◆ القول الراجح :

وتأملت في هذه الآية الشريفة وفي أقوال العلماء فترجح لدي هذا القول الذي نقّحه الإمام ابن كثير فارس هذه الحلبة وأبو عُذرة هذا المبحث المفصل الغالي ، وأرى أنه توصل إلى الكنه وأصاب كبد الحقيقة ، وإلى القارئ الكريم بعض تأملاتي التي تزيده - إن شاء الله - ثقةً وقوةً ورجحاناً وتُزيل بعض الإشكالات التي تورد عليه .

١- ذكر ابن كثير من علل الحديث المرفوع أن فيه عمر بن إبراهيم وأن ابن معين وثقه ولكن قال أبو حاتم : لا يحتج به ، أقول : إن كان عمر بن إبراهيم ضعيفا لينا فهو في قتادة أضعف وألين ، كما قال ابن عدي في "الكامل" ١٧٠١/٥ : "حديثه عن قتادة خاصة مضطرب" وهذا الحديث مما تفرد به عن قتادة .

٢- تردد الإمام في بيان هذه العلة حيث ذكر بعد ذلك متابعا ، و قال : "و لكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه - سليمان بن طرخان - عن الحسن عن سمرة مرفوعا ؛ فالله أعلم" ، قلت : لا حاجة إلى التردد ، وهذا المتابع لا يغني من شئ ، فإنه قيل في سليمان بن طرخان والد المعتمر أنه كان ربما يدلس عن الحسن البصري وغيره ما لم يسمعه كما ذكره الذهبي في "الميزان" ج/٢، رقم الترجمة/٣٤٨١ : وهنا لم يصرح بالتحديث فلا يقبل ، ثم إنه قد رواه معتمر عن أبيه بسند آخر نظيف عن سمرة موقوفا كما قال الطبري : حدثني محمد بن عبد الأعلى ؛ قال : حدثنا معتمر عن أبيه ؛ قال : حدثنا أبو العلاء عن سمرة بن جندب أنه حدث : أن آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحارث .

٣- ذكر ابن كثير في الحديث ثلاث علل ، وزاد العلماء عليها علة ؛ وهي : أن الحسن البصري قد اختلف في سماعه من سمرة فأنكره يحيى بن معين وابن المديني ولكن الحق أنه ثبت سماعه منه في حديثين :

حديث العقيقة وقد أشار إليه البخاري ؛ رقم/٤٥٧٢ ، وحديث آخر رواه أحمد كما قال الذهبي في "السير" ١٨٤/٣ : لكن الحسن البصري - على جلالة قدره وعظم شأنه - مدلس وهو لم يصرح في هذا الحديث بالتحديث فلا يقبل كما هو مقرر في المصطلح .

٤- يورد إشكال وهو أن الترمذي قد حسن الحديث والحاكم صححه فما بالكم لا تقبلونه ؟ والجواب أن الإمام الترمذي ربما يتساهل في التحسين (٢) ، على أنه قد أشار إلى الضعف في الحديث حيث قال : "حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، عمر بن إبراهيم شيخ بصري" فقد أشار الإمام إلى العلة ، أما الحاكم فأنت تعرف أنه لا يغتر بتصحيحه أبدا كما صرح به الأئمة من أمثال الذهبي وابن حجر والسخاوي والسيوطي ؛ حتى قال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" ص/١٠٤٢ : "لا ريب أن في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك بإخراجها فيه" (٣) اهـ .

والعجب من الذهبي - وهو النقادة البصير - كيف وافق الحاكم على تصحيح هذا الحديث ! مع أنه هو الذي قال في "الميزان" رقم الترجمة/١٩٦٧ : "نعم ! كان الحسن كثير التدليس فإذا قال في

---

(٢) هذا مع المعرفة بأن بعض الباحثين قد حاولوا رفع هذا الملام أو إقلاله عن الترمذي ، وقد نجحوا إلى حد ، كما فعل الأستاذ عبد الرحمن بن صالح محي الدين في كتابه : "الأحاديث التي حسنها الإمام الترمذي ، وتفرد بإخراجها عن أصحاب الكتب الستة" (طبع بالرياض ، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م) .

(٣) انظر : أقوال العلماء في المستدرك في "الأجوبة الفاضلة عن الأسئلة العشرة الكاملة للإمام اللكنوي ، اعتنى به الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : ص/٨٠ وما بعدها .

حديث عن فلان ضعف الاحتجاج ولا سيما عمن قيل : إنه لم يسمع منهم" قلت : وهذا الحديث منه ، فليحمل ذلك من الذهبي على العجلة والزلة ، على كل حال لا سبيل إلى تصحيح الحديث مرفوعا إلى رسول الله ﷺ مع وجود العلل ، ومن علم حجة على من لم يعلم.

٥- قال الآلوسي في الروح مؤيدا الرأي المخالف : "وبه صرح كثير من أساطين الإسلام ، والذاهبون إلى غير هذا الوجه نزر قليل بالنسبة إلى الذاهبين إليه وهم دونهم أيضا في العلم والفضل ، وشتان ما بين دندنة النحل وألحان معبد" انتهى قوله ، أقول : لا شك أن القائلين به عدد كثير وجم غفير ولكن الدراية تدلنا على أن مصدر الكل هو البحر الحبر عبد الله بن عباس ﷺ ثم تلقاه عنه تلاميذه مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ثم حمل عنهم قتادة والسدي ، وهلم جرا ، وقد أشار إليه ابن كثير .

ثم إنه قد روي عن ابن عباس خلاف هذا وضده تماما ؛ كما قال الشوكاني في "فتح القدير" والسيوطي في "الدر المنثور" ٦٢٦/٣ : أخرج المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال : "ما أشرك آدم ، إن أولها شكر ، وآخرها مثل ضربه لمن بعده" فلعله رجع عن قوله والله أعلم ، وهكذا ضعف الأساس ، كذلك ذكر القرطبي في تفسيره عن عكرمة أنه قال : "لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع الخلق بعد آدم" .

٦- أورد الشوكاني في "فتح القدير" أن الدعاء المذكور في الآية لا يصدر عن كل الوالدين عند مقاربة الولد ، فهذا يدل أنه خاص بآدم وحواء .

وهذا إشكال في غاية الضعف وهو ينحل بأن ذلك تمثيل حالهما وتصوير واقعهما ، وكل يعرف أن الأبوين يكون غاية مناهما ومنتهى آمالهما وأكبر همهما أن يولد الولد صالحا سويا ، وفي مثل

هذه الحال يلجأ الإنسان إلى الله ويخلص له الدعاء والنداء ، وهذا كما ذكر الله تعالى في آية أخرى : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر * حتى إذا كنتم في الفلك * وجرين بهم بريح طيبة * وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف * وجاءهم الموج من كل مكان * وظنوا أنهم أحيط بهم * دعوا الله مخلصين له الدين * لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين * فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ﴾ (يونس/٢٢-٢٣) .

ويؤيد ذلك ما ذكرناه من قول ابن عباس : "إن أولها شكر ، وآخرها مثل ضربه الله لمن بعده" وقال الإمام القفال : "إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم وقولهم بالشرك" (٤) .

٧- يمكن أن يقال : إن الحديث قد صح سنده إلى الصحابي موقوفا عليه وهذا لا مجال فيه للاجتهاد والرأي فينبغي أن يكون له حكم المرفوع .

نقول : روي ذلك عن ابن عباس وعن سمرة موقوفا عليهما ، رواهما الطبري في تفسيره ، وروي عن ابن عباس عن أبي بن كعب كما ذكره ابن كثير محالا إلى ابن أبي حاتم ، وإن آثار الصحابة إنما تأخذ حكم المرفوع بشرط أن لا يظن تلقيها عن المصادر الإسرائيلية ، وهنا هذا الظن قائم كما قال ابن كثير ولا سيما في ابن عباس رضي الله عنهما لأنه معروف بالأخذ عن كعب الأحبار و وهب بن منبه وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب ، وأما أبي بن كعب ﷺ فإنه كان أيضا يعرف الكتابة ، كما قال البلاذري في "فتوح البلدان" ص/٤٧٨ : "حدثني الوليد ومحمد بن سعد عن الواقدي عن أشياخه ، قالوا :

(٤) ذكره القاسمي في "محاسن التأويل" : ج/٥ ، ص/٣١٧ في تفسير هذه الآية .

أول من كتب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة أبي بن كعب الأنصاري وهو أول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان ... فكان أبي بن كعب وزيد بن ثابت يكتبان الوحي بين يديه وكتبه إلى من يكاتب من الناس وما يقطع وغير ذلك" اهـ ، فلا يستبعد أنه أخذه من بعض كتبهم ، على كل ، فإن المسحة الإسرائيلية بادية على هذا الأثر، وأما إيجاد المناسبة بين الآية وبين القصة فمجال الرأي فيه واسع وباب الاجتهاد مفتوح ، إذن فليس له حكم المرفوع .

ونقول على سبيل الافتراض والتنزل : لو صح الحديث مرفوعا فلم ولن يصح تفسير الآية بالقصة مرفوعا ولو حكما ، واعلم أن جل الروايات بل كلها - على ما رأيت - تنسب التسمية إلى حواء لا إلى آدم إلا ما جاء في بعض المصادر "فسموه عبد الحارث" بصيغة الجمع وهو لفظ محتمل وليس صريحا ، وهذا القول نقوله تدرجا إلى صحة الحديث ودونه خرط القتاد .

٨- يورد على هذا القول أن فيه عدولا عن الظاهر من حيث العربية ؛ فنقول : إنه له نظائر في كلام العرب فإنهم يرجعون الضمير إلى غير المذكور عندما يكون الأمر جليا ظاهرا ، ولا سيما القرآن الكريم فإنك واجد فيه أمثلة من هذا النوع كما تقدم بعضها وكما قال الله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم * ثم صورناكم * ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ﴾ الآية ، فالمراد خلقنا أباكم الذي هو أصلكم وصورناه ، ففعل الأصل ينمى إلى الفرع وبالعكس .

وإذا كان في هذا القول عدول عن ظاهر اللغة ففي ذلك عدول عن العقيدة ، وفيه إضافة العظائم إلى نبي الله أبي البرية آدم عليه السلام مما هو بريئ منه براءة الذئب من دم يوسف ، والله تعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين

***

مع رحلة ابن هشام في تتبع الأساليب القرآنية

بقلم : الأستاذ محي الدين غازي
(الباحث في قسم اللغة العربية - جامعة كنانو - الهند)

كتاب الله العظيم هو الأساس الأقوى والمصدر الأوثق لعلوم اللغة العربية جميعها إلى جانب كونه كتاب هداية ورحمة ، فما من أحد نهض لخدمة القرآن الكريم عامة ، ولواحد من علوم النحو والبيان واللغة العربية خاصة ، إلا لزمه الإحاطة بالأساليب القرآنية والفهم الدقيق لها .

والتتبع لأساليب القرآن واستقراؤها قد يؤدي إلى أحكام أو قواعد عامّة ، و التصريح بمثل تلك الأحكام ليس بدعاً من بدع القول ، فهذا إمام المفسرين عبد الله بن عباس ﷺ نقل عنه أنه قال : "ما كان في القرآن "أو" فصاحبه بالخيار" (١)

وممن امتاز من بين النحاة والمفسرين بالعناية بمثل ذلك الاستقراء والإحاطة الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري المتوفى عام ٧٦١هـ .

فإن الدارس لكتبه ولا سيما أشهر وأجلّ كتبه : "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" ، وكتابه : "شرح شذور الذهب" يجد ذلك جلياً يلفت الانتباه .

ولا غرابة فإن ابن هشام من أبرز النحاة وأكثرهم اعتماداً

(١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي : ج٦، ص/١٥٢ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِيْنَ يُحَارِبُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ أَنْ يُقَتَّلُوْا أَوْ يَصَّلَبُوْا ... ﴾ الآية .

على القرآن الكريم ، خاصّة في مغني اللبيب ، فهو كما يرى الدكتور علي فودة نيل ، أقامه على استعمالات القرآن (٢) وقد ألفه كما يرى الشيخ أمين أحسن الإصلاحي للإرشاد في حلّ مشكلات القرآن والحديث النحوية (٣) ، وهو نفسه ذكر في ثنايا كتابه المغني غرضه من تأليف الكتاب ؛ فقال بحرف واحد : لأنني وضعت هذا الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعاً (٤) ، وهو الذي ذكر في منهجه في مقدمة شرح شذور الذهب : وكلما أنهيت مسألة ختمتها بآية تتعلق بها من آي التنزيل و أتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب و تفسير و تأويل (٥) ، وما نقل عنه أنه لما سئل ، هلا فسرت القرآن أو أعربته ؟ قال : أغناني المغني (٦) .

وقد لوحظ أن ابن هشام يكون أكثر فرحاً وسروراً حين يظفر بشاهد من القرآن لم يظفر به في علمه أحد غيره ، فهو يعيش بالأمثلة القرآنية ويراها أجمل اكتشافاته .

يقول في موضع والبحث يجري في كلمة "لو" وقد وجدت آية في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقاً ولم ينتبه لها الزمخشري كما لم ينتبه لآية لقمان ، ولا ابن الحاجب وإلا لما منع من ذلك ، ولا ابن

(٢) ابن هشام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي - للدكتور علي فودة نيل : ص/٤٨٣ .
(٣) ترجمان القرآن الشهرية ذي الحجة عام ١٣٧٤هـ .
(٤) مغني اللبيب - لابن هشام (دار الفكر) : ص/٨٥٣ .
(٥) شرح شذور الذهب - لابن هشام (دار الفكر) : ص/١٠ .
(٦) ابن هشام وأثره في النحو العربي - للدكتور يوسف عبد الرحمن الصنع (دار الحديث) : ص/٥١ .

مالك وإلا لما استدل بالشعر ، وهي قوله تعـالى : ﴿ يَـوَدُّوْا لَـوْ أَنَّـهُمْ بَادُوْنَ فِيْ الأَعْرَابِ ﴾ (٧) و وجدت آيةً الخبر فيها ظرف لغو ، وهـي : ﴿ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِيْنَ ﴾ (٨) ، وفي موضع آخـر : "وهـذان الموطنان خطرا لي قديماً ، ولم أرهما لغيري" (٩) .

وابن هشام حين يصدر الحكم الكلي عن أسلوب قرآني فإنـه يفعل ذلـك بعـد التتبع الدقيق الشامل لجميع القراءات الشاذة والمتواترة ، فمثلاً نقل عنه الشيخ خالد الأزهري أنه قال في قضية مـن قضايا صيغ فعل الشرط وجوابه ، فتتبعت ما ورد به التنزيل من ذلك فإذا فعل الشرط فيه كلمة (كان) (١٠) .

وهنا أودّ أن أسرد على القـارئ مـا ظفـرت بـه مـن الأحكـام الاستقرائية العامة التي ذكرها في ثنايا أبحاث نحوية في كتبه :

١- من معاني الهمزة النداء والاستفهام .

يقول : وقد أجيز الوجـهان في قـراءة الحرميَّين : ﴿ أَمَـنْ هُـوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْل ﴾ (١١) وكون الهمـزة فيـه للنـداء هـو قـول الفـراء ، ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير "يا" (١٢) .

---

(٧) سورة الأحزاب ، الآية/٢٠٣ .

(٨) سورة الصافات ، الآية/١٦٧ ، انظر : مغني اللبيب : ص/٣٥٧ .

(٩) رسالة اعتراض الشرط على الشرط - لابن هشام ، نقلاً عن "ابـن هشـام الأنصاري آثاره ومذهبه النحوي" .

(١٠) ج/٢ ، ص/٢٤٩ ، شرح التصريح - لخالد الأزهري .

(١١) سورة الزمر ، الآية/٩ .

(١٢) مغني اللبيب : ص/١٧ .

٢- خبر إذا الفجائية .

يقول : ولم يقع الخبر معـها في التـنزيل إلا مصرحـا بـه (١٣) ؛ نحو : ﴿ فإذا هي حية تسـعى ﴾ ﴿ فـإذا هـي شـاخصة ﴾ ﴿ فـإذا هـم خامدون ﴾ فإذا هي بيضاء ﴾ ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ .

٣- لدن .

يقول : جرها بمن أكثر من نصبها حتى إنها لم تجئ في التـنزيل منصوبة (١٤) .

٤- واو المفعول معه .

يقول : لم يأت في التنزيل بيقين (١٥) .

٥- وقف واجب .

يقول : الصواب أنه ليس في جميع القرآن وقف واجب (١٦) .

٦- زعم .

يقول : قولهم في ﴿ أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ (١٧) : إن التقدير تزعمونهم شركاء ، والأولى أن يقدر تزعمون أنهم شـركاء ، بدليل : ﴿ و ما نرى معكم شفاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شـركاء ﴾ (١٨) ولأن الغالب على زعم ألا يقع على المفعولـين صريحـا ، بـل على "أن" وصلتها ولم يقع في التنزيل إلا كذلك (١٩) .

---

(١٣) مغني اللبيب : ص/١٢١ .

(١٤) مغني اللبيب : ص/٢٠٨ .

(١٥) مغني اللبيب : ص/٤٧٧ .

(١٦) مغني اللبيب : ص/٥٠٢ .

(١٧) سورة القصص ، الآية/٦٢ .

(١٨) سورة الأنعام ، الآية/٩٤ .

(١٩) مغني اللبيب : ص/٧٤ .

٧- الخبر بعد ما .

يقول : قولهم في نحو : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ ﴾ ﴿ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ ﴾ : إن المجرور في موضع نصب أو رفع على الحجازية والتميمية ، والصواب الأول لأن الخبر بعد "ما" لم يجئ في التنزيل مجرداً من الباء إلا وهو منصوب (٢٠) .

٨- سنون .

يقول : لم تقع في القرآن مرفوعة (٢١) .

٩- تركيب الأحوال والظروف .

يقول : لم يقع في التنزيل تركيب الأحوال ولا تركيب الظروف ، وإنما وقع فيه تركيب الأعداد (٢٢) .

١٠- فعال .

يقول : لم يقع في التنزيل فعال أمراً إلا في قراءة الحسن (لا مساس) بفتح الميم وكسر السين (٢٣) .

١١- رفع اسم التفضيل معمولاً ظاهراً مثل مسألة الكحل :

يقول : لم يقع هذا التركيب في التنزيل (٢٤) .

١٢- الكلمة :

يقول : في الكلمة ثلاث لغات ولها معنيان ، أما لغاتها فكلمة على وزن نبقة ، و هي الفصحى و لغة أهل الحجاز و بها جاء

---

(٢٠) مغني اللبيب : ص/٧٧٦ .

(٢١) شرح شذور الذهب : ص/٥٨ . (٢٢) شرح شذور الذهب : ص/٧٨ .

(٢٣) شرح شذور الذهب : ص/٩٤ .

(٢٤) شرح شذور الذهب : ص/٤١٦ .

التنزيل (٢٥) .

١٣- أفعال الشروع :

يقول : وطفق أشهرها وهي التي وقعت في التنزيل ، وذلك في موضعين (٢٦) .

١٤- ما العاملة عمل ليس :

يذكر ثلاثة أمثلة ثم يقول : ولم يقع في القرآن إعمال ما صريحاً في غير هذه المواضع الثلاثة (٢٧) .

١٥- وصل الضمير :

يقول ابن هشام في صورة أن يكون هناك ضميران ؛ أولهما أعرف من الثاني ، وليس مرفوعاً ، واتفقوا على أن الوصل أرجح في الصورة الأولى إذا لم يكن الفعل قلبياً نحو سلنيه وأعطنيه ، ولذلك لم يأت في التنزيل إلا به كقوله تعالى : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ (٢٨) .

١٦- اعتراض الشرط على الشرط :

ذكر مثالين ثم قال : وهذان الموطنان خطرا لي قديماً ولم أرهما لغيري (٢٩) .

١٧- فعل الشرط وجوابه :

من صيغ فعل الشرط وجوابه أن يكون الأول ماضيا ، والثاني مضارعا ، نحو قوله تعالى : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ﴾ (٣٠) نقل عن ابن هشام أنه قال في هذا الصدد :

---

(٢٥) شرح شذور الذهب : ص/١١ . (٢٦) شرح شذور الذهب : ص/١٩٢ .

(٢٧) شرح شذور الذهب : ص/١٩٣-١٩٤ .

(٢٨) شرح قطر الندى - لابن هشام : ص/١٣٢ .

(٢٩) رسالة اعتراض الشرط على الشرط - لابن هشام . (٣٠) الشورى ، الآية/٢٠.

فتتبعت ما ورد به التنزيل من ذلك فإذا فعل الشرط فيه كلمة : (كان) (٣١) .

فهذه هي الأحكام العامة التي ذكرها ابن هشام بعد الاستقراء الدقيق للأساليب القرآنية ، ثم هناك موقف آخر لابن هشام تجاه أحكام عامة ذكرها من سبقه من النحاة ، فقام ابن هشام برد بعضها بذكر أمثلة تقدح في تلك ، وإقرار بعض منها ، وأورد هنا نماذج من ذلك :

١- حرف بل :

يقول : بل حرف إضراب ، فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب ، إما الإبطال نحو : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه * بل عباد مكرمون ﴾ أي بل هم عباد ونحو : ﴿ أم يقولون به جنة * بل جاءهم بالحق ﴾ وإما الانتقال من غرض إلى غرض ، و وهم ابن مالك إذ زعم في شرح كافيته أنها لا تقع في التنزيل إلا على هذا الوجه ، ومثاله : ﴿ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ (٣٢) .

٢- حرف كلا .

يقول : ... حتى قال جماعة منهم متى سمعت كلا في سورة فاحكم بأنها مكية ، لأن فيها معنى التهديد والوعيد وأكثر ما نزل ذلك بمكة ، لأن أكثر العتو كان بها وفيه نظر ، لأن لزوم المكية إنما يكون عن اختصاص العتو بها ، لا عن غلبته ، ثم لا يمتنع الإشارة إلى عتو سابق ، ثم لا يظهر معنى الزجر في كلا المسبوقة بنحو : ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ وقولهم : المعنى : انتبه عن ترك الإيمان بالتصوير في

(٣١) شرح التصريح : ج/٢ ، ص/٢٤٨-٢٤٩ . (٣٢) مغني اللبيب : ص/١٥٢ .

أي صورة ما شاء الله ، وبالبعث ، وعن العجلة بالقرآن ، تعسف ، إذ لم يتقدم في الأولين حكاية نفي ذلك عن أحد ولطول الفصل في الثالثة بين كلا وذكر العجلة ، وأيضا فإن أول ما نزل خمس آيات من أول سورة العلق ، ثم نزل : ﴿ كلا ! إن الإنسان ليطغى ﴾ فجاءت في افتتاح الكلام ، والوارد منها في التنزيل ثلاثة وثلاثون موضعا كلها في النصف الأخير (٣٣) .

ومن مواقف ابن هشام في هذا الاتجاه أن يرى أحدا من النحاة يمنع من تركيب أو يحكم على أسلوب أنه شاذ ، ويجد ابن هشام بتتبعه وإحاطته ما يعارض ذلك من أمثلة قرآنية ، فيبادر بالتنبيه مستدلا باستقرائه ، وأمثلة ذلك منتشرة في كتبه إلا أنني أكتفي ببعضها .

١- في قضية تخطي عمل العامل بعد لام الابتداء :

يقول : وهم بدر الدين ابن مالك فمنع من ذلك ، والوارد منه في التنزيل كثير نحو : ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ (٣٤) .

٢- إن النافية :

يقول بعد ذكر آيات : قول بعضهم : لا تأتي "إن" النافية إلا وبعدها "إلا" كهذه الآيات أو "لما" المشددة التي بمعناها كقراءة بعض السبعة : ﴿ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴾ بتشديد الميم أي : ما كل نفس إلا عليها حافظ ، مردود بقوله تعالى : ﴿ إن عندكم من سلطان بهذا ﴾ ﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون ﴾ ﴿ وإن أدر ي لعله فتنة لكم ﴾ (٣٥) .

٣- الجملة الواقعة حالا :

يقول : و رابطها إما الواو و الضمير نحو : ﴿ لا تقربوا

(٣٣) مغني اللبيب : ص/٢٤٩ . (٣٤) مغني اللبيب : ص/٣٠٥ . (٣٥) مغني اللبيب : ص/٣٤ .

الصلاة * وأنتم سكارى ﴾ أو الواو فقط نحو : ﴿ لئن أكله الذئب * ونحن عصبة ﴾ ونحو جاء زيد والشمس طالعة ، أو الضمير فقط ؛ نحو : ﴿ ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ ... وزعم الزمخشري في الثالثة أنها شاذة نادرة ، وليس كذلك لورودها في مواضع من التنزيل ، نحو : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ .... ﴿ و الله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ﴾ ﴿ ويوم القيامة * ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ (٣٦) .

وقد بلغ من إعجاب بعض الباحثين وعلى رأسهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بإحاطة ابن هشام بالأساليب القرآنية واعتماده الكثير على الأمثلة القرآنية في المغني أن يرى أنه إذا لم يذكر ابن هشام شاهدا قرآنيا على قاعدة ما في المغني فيعني ذلك أنه ليس في القرآن مثال يطمئن إليه ابن هشام لتلك القاعدة فيكتفي بمثال من غير التنزيل (٣٧) .

وهنا يحق لنا أن نتساءل ، ما مدى قيمة هذا الاستقراء عند ابن هشام ، هل هو دليل قاطع بمعنى أنه إذا ثبت أن أسلوبا ما لم يقع في التنزيل لا يصح أن يقدر ذلك في موضع من مواضع التنزيل تعددت فيه الأوجه المحتملة ، و وجب حمل ذلك على الأسلوب الواقع في التنزيل .

نلاحظ عبر الأمثلة المذكورة أعلاه أنه دليل قوي إذا لم يكن هناك دليل أقوى منه وكثيرا ما ذكر ابن هشام ذلك لترجيح أحد

(٣٥) مغني اللبيب : ص/٣٤ .

(٣٦) مغني اللبيب : ص/٦٥٦ .

(٣٧) ترجمان القرآن ، الشهرية ، ذي الحجة عام ١٣٧٤هـ .

الأوجه على غيرها ، وكان محقا في ذلك فإن ورود أسلوب ما في التنزيل على وجه واحد في مواضع عديدة يعطيه قوة وقيمة .

أما إذا وجد دليل آخر أقوى منه فالوجه له ، ويوضح ذلك ما قاله في آية : ﴿ وإن كلا لما ليوفينهم ربك ﴾ : واختار ابن الحاجب أنها لما الجازمة حذف فعلها ، والتقدير : لما يهملوا أو لما يتركوا لدلالة ما تقدم من قوله تعالى : ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ ثم ذكر الأشقياء والسعداء ومجازاتهم ، قال : ولا أعرف وجها أشبه من هذا ، وإن كانت النفوس تستبعده من جهة أن مثله لم يقع في التنزيل ، والحق ألا يستبعد ذلك اهـ .

وابن هشام يقره على هذا الاستدلال وإنما يخالفه في التقدير فيقول : وفي تقديره نظر ، والأولى عندي أن يقدر ، لما يوفوا أعمالهم ، أي : أنهم إلى الآن لم يوفوها وسيوفونها (٣٨) .

وكذلك في معاني الهمزة حينما يبعد قول الفراء بدليل أنه ليس في التنزيل نداء بغير يا ، ففي نفس الوقت يقر به أيضا بدليل سلامته من دعوى المجاز ومن دعوى كثرة الحذف (٣٩) .

والحقيقة أن ابن هشام بعنايته بأساليب القرآن وإحاطته بها وتقديم أحكام عامة عنها أهدى إلى الذين يهتمون بفصيح الكلام هدايا قيمة مشكورة ، ولا شك أنه قضى مع القرآن الكريم جزءا عظيما من حياته أتى بذلك من كنوز القرآن شيئا عظيما ، وكم ترك الأول للآخر ، والقرآن لا تفنى عجائبه .

***

(٣٨) مغني اللبيب : ص/٣٧١ .

(٣٩) مغني اللبيب : ص/١٧ .

ملامح إسلامية في شعر شوقي !

(٧)

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

◆ المبحث الثاني – أسباب هذا الاتجاهين : المادي والروحي من خلال آراء النقاد !

نظر الدكتور محمد حسين هيكل إلى شعر شوقي فوجده على لونين : لون يشتمل على خمر ، ولذة ، وخلاعة ، و لون يحتوي على دين ، وحكمة ، وحفاظ على الإسلام ، فانتهى به هذا النظر إلى الحكم على شوقي بازدواج شخصيته ، إذ يقول في مقدمة "الشوقيات" : "وإنك تكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه ، كأنك أمام رجلين مختلفين جدّ الاختلاف ، لا صلة بينهما ، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته ، وأن كليهما مصري يبلغ حبّه لمصر حد التقديس والعبادة ... أما فيما سوى هذا ، فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان ، مسلم يقدّس أخوّة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شئونه وحوادثه وحي الشعر وإلهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أول شبابه إلى هذا الوقت الحاضر ... ففي شعره صورتان من صور الحياة ، تقوم كلّ منهما مستقلة كأنما صاحبها غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حفّ كأسها الحبب

فهي فضة ذهب

... فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها، شاعر تختلف روحه جدّ الاختلاف عن صاحب نهج البردة التي مطلعها :

ريم على القاع بين البان و العلم

أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

... وهذان الروحان أوهاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران في نفس شوقي وتصدران عنها وهي في كل قوتها وسلطانها (٢٢٦) .

ثم يعلل هذا الازدواج مبيّناً "أن شوقي كان في طبع شبابه رسول الحياة ، فلمّا بعث إلى أوربا ، وأتم تعليمه هناك ، ثمّ عاد ، فاتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب عباس حلمي باشا ، وكانت عواطفه متّفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون في الخليفة الموئل الأخير لأمم الإسلام جميعاً ، فحتّم ذلك - كون شوقي كلمة الأمير - عليه ، أن يكون المعبّر عن الميول والآمال الكمينة في نفوس المسلمين جميعاً ، لا في نفوس المصريين وحدهم ، وبذلك اجتمع في نفسه من أول حياته ، ميله للحياة وحبّه إياها وحرصه على المتاع بها ، مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم بإزاء الأمم الغربية التي تنظر إليهم بعين صليبية بحتة ، وكانت هذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به ، أكثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التي هي طبيعة نفسه" (٢٢٧) .

ولكنه يناقض بنفسه دعوى الازدواج - كما يلاحظ الدكتور الحوفي - إذ قال ما خلاصته : إن شوقي كان جامعاً في نفسه بين الاستمتاع بالحياة وميله إلى التعبير عن آمال المسلمين وميولهم ، وهو في هذا الميل المتأثر بظروف حياته وبيئته أكثر استيحاء لشعره من

(٢٢٦) مقدمة الشوقيات ج/١ ، ص/٦-٨ (مختصراً) .

(٢٢٧) مقدمة الشوقيات : ج/١ ، ص/٨-٩ (مختصراً) .

الميل الأول النابع من نفسه ، وقد مرّ بنا أنه يقرّر بأن شوقي شاعر مطبوع يصل من الشعر عليا سماواته ، ولم يفرّق بين شعره الديني أو اللاهي ، فمعناه أن شعره الديني يستوحي عواطف المسلمين المتفقين مع الخديوي في عواطفه نحو الخلافة ، وكان أكثر توفيقاً في استيحائه من هذا الينبوع بالنسبة لاستمداده من ذات نفسه ، وهل من الطبيعي أن يصل الشاعر بشعره إلى عليا سماواته ولا يستمد من ذات نفسه ؟

ولو كان شعره ترجمة عن عواطف الآخرين ليتسم بالتكلف والزيف وبرود العاطفة ، وظهر لنا من شعره الديني أنه تعبير عن عواطف جياشة قوية ، وتصوير لما يدور في خلده وبحسّه ، ويكفينا دليلاً على صدق شعوره وجيشان عاطفته ، أن كان يعضد الخلافة الإسلامية ، ويمدح الخليفة حرصاً منه على التئام شمل المسلمين واجتماع كلمتهم ، أملا في الله الرضا والثواب وحسن الجزاء ، لا طمعاً في هبات الخليفة أو مداراة للخديوي والناس :

عهد الخلافة فيّ أولُ ذائدٍ
عن حوضها ببراعة نضّاح
حبٌّ لذات الله كان ، و لم يزل
و هوىً لذات الحق و الإصلاح (٢٢٨)

ويقول مخاطباً للخليفة :

زهدتُ الذي في راحتيك و شاقني
جوائزُ عند الله مبتغياتُ
و من كان مثلي أحمدَ الوقتِ ؛ لم تجُزْ
عليه - و لو من مثلك - الصدقات (٢٢٩)

(٢٢٨) الشوقيات : ج/١ ، ص/١٠٨ .
(٢٢٩) الشوقيات : ج/١ ، ص/٩٧ .

فمن كان هذا شأنه ، كيف لا يكون شعره عن التدين والإيمان نابعاً من قلبه ، بل ممالأة للخديوي والناس ؟؟؟ ويفسر الدكتور شوقي ضيف ظاهرة هذين الاتجاهين : الروحي والمادي في شعر شوقي رادّاً على الدكتور هيكل بأن له حياتين : الفردية والاجتماعية ، وهذا طبيعي في الفنّان والناس جميعاً ، فاللهو واللذّة خاصّان بحياته الفردية ، وما بعد ذلك فيختص بحياته الاجتماعية ، فيقول : "فليس هنا تعدّد في شخصيته ، وإنّما هي حياته الفردية وما يتصل بها من لذة ومتاع وحرية ، وحياته الاجتماعية وما يتصل بها من القصر والخديوي والجمهور ونزعاته" (٢٣٠) ويقول في موضع آخر : "فهو في منزله وحياته الخاصة يشبع مزاجه وميوله ، وهو في القصر والحياة الاجتماعية يشبع مزاج أميره وذوقه ، ويحاول أن يكسب مزاج الجمهور وذوقه ، فيؤلف له أغاني وأناشيد في تاريخه ونيله ، أو في الخلافة والإسلام أو في مدائح الرسول الكريم ﷺ" (٢٣١) .

لكنّ الدكتور شوقي بهذا التحليل لشخصية شوقي ، أنكر الصدق العاطفي في شعره الديني ، فما كان ينشئ القصائد في الإسلام أو الخلافة أو المدائح النبوية إلا لإرضاء الجمهور وكسب مزاجه ، وفعلاً قد صرّح بذلك في مكان آخر : "فهذا الشعر الديني وهذا النغم الإسلامي الذي يطربنا عنده ، والذي نزعم أن لا يغنّي فيه نفسه ولا عواطفه أولاً ، إنّما يغني عواطف المسلمين قبل كل شئ ، لم يُتح لشاعر امتلأ بالعواطف الدينية الإسلامية ممّن عاصروه أن يبلغ مبلغه فيه أو يتفوّق عليه (٢٣٢) .

(٢٣٠) شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث : ص/٣٠ .
(٢٣١) نفس المصدر : ص/٢٨ .
(٢٣٢) نفس المصدر : ص/١٢٩ .

وهذا الحكم خطير؛ إذ يستلزم إنكار أصالته في الشعر الديني، وصدق إحساسه في معالجته للقضايا الإسلامية، وهذا مردود بما بيّناه، وبما سنتعرض له في المبحث الآتي، ثمّ على حد قوله ليس من المعقول أن يكون شوقي متكلّفاً متصنعاً والمرأة العاكسة لعواطف الجمهور، ومع هذا يبزّ قرناءه ومعاصريه من الشعراء الذين امتلأوا بالعواطف الدينية؛ لأن معناه أن يُفضّل الشعر المصطنع على الشعر النابع من القلب، ويعترف بأسبقية كاذب الشعور على صادق الشعور، أما ما يسوقه الدليل على إرادته الجمهور في شعره الديني، اعتنائه بالمسيحية؛ لأن من قرّائه مسيحيين أيضاً، فهذا أيضاً مرفوض؛ إذ إشادته بالمسيح لم يكن لاستمالة المسيحيين بل لاعتقاده من حيث كونه مسلماً أن الإيمان لا يكتمل إلا بالتصديق بالمسيح، قال الله ﷻ:

﴿ قُلْ: آمَنَّا بِاللهِ * وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا * وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ وَالأَسْبَاطَ * وَمَا أُوْتِيَ مُوْسَى وَعِيْسَى * وَ النَّبِيُّوْنَ مِنْ رَّبِّهِمْ * لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ * وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ ﴾ (٢٣٣).

بالإضافة إلى ذلك، نراه ينتقد انتقاداً شديداً هؤلاء الصليبيين؛ إذ ملؤوا الأرض فساداً، و وضعوا السيف في عباد الله اليوم تقتيلاً وتشريداً في دول البلقان، كما فعلوا بالأمس أكثر من مرة، فيقول مخاطباً عيسى عليه السلام:

و اليوم يهتف بالصليب عصائب
هم للإله و روحه ظلام
خلطوا صليبك و الخناجر و المُدى
كلٌ أداةٌ للأذى و حمام

(٢٣٣) آل عمران/٨٤، وراجع للتفصيل في رد هذا الزعم وأمثاله كتاب الدكتور محمد الحوفي: الاتجاه الروحي في شعر شوقي: ص/٢١ وما بعدها.

أو مـا تراهم ذبّحوا جيرانهم
بين البيوت كأنهم أغنام (٢٣٤)

واسترسل على هذا المنوال في أبيات كثيرة، أما الدكتور محمد محمد حسين والدكتور ماهر حسن فهمي، والأستاذ على النجدي ناصف فكلهم متّفقون تقريباً على أن هذا التردد بين المادية والروحية في شعر شوقي من آثار طابع ذلك العصر (٢٣٥)، فهذا التردد، هو الطابع العام لنفسية الأفراد في فترات النقلات الاجتماعية، وكان عصر شوقي عصر نقلة اجتماعية وثقافية وسياسية، كما فصّلنا من قبل في الفصل الأول (٢٣٦)، فالحضارة الغربية مع قيمها وتقاليدها ومواصفاتها الاجتماعية وأفكارها المادية وثقافتها اللادينية كانت تنقل البلاد الإسلامية عامة ومصر خاصة، عن حضارة إسلامية إلى حضارة طابعها العام الإقبال على الدنيا، فكان من أهم ما يميّز هذا العصر عن غيره "تأثير مدنية أوربا عليه" (٢٣٧)، لذلك نشأ الصراع بين المجددين والمحافظين، وقد مرّ بنا، أو بعبارة أخرى: "كان هناك احتكاك في الأمة الواحدة بين طائفتين ومدنيتين وعقليتين" (٢٣٨)، فهذا الصراع أو الاحتكاك أثر في حياة الناس، فجعلهم يتردّدون بين المحافظة على القديم أو الإقدام على الأخذ بالجديد، فمُنوا بالتناقض الذي بدأ من قصر الخديوي عباس، وسرى منه إلى بيوت الأغنياء والمترفين.

فشوقي مسلم مؤمن وشاعر متصف برقة الشعور ودقة

(٢٣٤) الشوقيات: ج/١، ص/٢٣٤. (٢٣٥) انظر: الاتجاهات الوطنية: ص/٢٥٥-٢٥٦، وشوقي شعره الإسلامي: ص/٩٧، ١٠١، والدين والأخلاق في شعر شوقي: ص/١٩.
(٢٣٦) انظر ص/١٣. (٢٣٧) تاريخ آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان: ج/٤، ص/١٥.
(٢٣٨) قصة الآداب في العالم: لأحمد أمين وزكي نجيب محفوظ ٢٨٣/٣-٢٨٤ (مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م).

الإحساس وسرعة التأثر ، فتعرض له مغريات المتعة واللهو فيفقد الزمام أمام اللذة ، كما تعرض له دواعي الإنابة والزهد فيأخذه التدين ويثوب إلى صوابه ، ويبكي ويندم على ما اقترف ، "فوضح أثر هذا التناقض في شعر شوقي شاعر القصر ، فتجاور في ديوانه وصف المرقص والخمر مع مدائح الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وتمجيد الإسلام" (٢٣٩)ويؤكد هذا المعنى الدكتور الحوفي فيقول : "والحق أن شوقي كان شأنه الترجح بين اللهو والتدين ، شأن كثير من الناس تعرض لهم أحيانا دواعي الحياة فيضعفون عن مقاومتها ، ثم لا يلبث أن يعاوده إيمانه وتغلب تقواه لهوه فيندم على ما اقترف" (٢٤٠) .

وبقي لنا كلمة أخيرة بهذا الصدد ، وهي أن شعره اللاهي لا ينبئ عن إغراقه في المجون ، وكما يظهر أنه يقصد به إظهارا لبراعة أكثر من أن يريد تصوير عواطفه ، ولذلك شعره اللاهي لم يستطع أن ينافس شعره الديني في الكثرة ، فقال الدكتور شوقي ضيف منصفا له : "فما في ديوانه عن لذته ومتاعه قليل قلة شديدة" ، ويضيف قائلا : "يغلو هيكل حين يقيم المجموعتين من الحياة أو من الخصال متوازيتين مستقلتين ، فإن الخصال الماجنة لا تكاد تظهر عند شوقي إلا ظهورا باهتا ضئيلا بخيلا" (٢٤١) .

أما شربه للخمر ، فكما يبدو من مطالعة حياته لم يكن إدمانا عليه ، بل يمكن أن يرجع - تحت تأثير العصر والقصر - إلى ضعف في العزيمة والإيمان أمام مغريات الحضارة الغربية القريبة العهد بالعالم

(٢٣٩) الاتجاهات الوطنية : ص/٢٥٦ .
(٢٤٠) الاتجاه الروحي في شعر شوقي : ص/١٧ .
(٢٤١) شوقي شاعر العصر الحديث : ص/٣٠-٣١ .

الإسلامي ، فعندما كانت تنازعه نفسه وتدعوه إلى العفة والأخلاق ، كان يدعي أنه لا يخرج عن حدودهما عند شربه ، فيقول في القصيدة التي وصف فيها الخمر :

لا تقل : عواقبها
فالعواقب الأدب
تتجلى ولي خلق
ينجلي و ينسكب (٢٤٢)

وما يتعلق بغزله فليس فيه إفحاش ولا مجون ، بل ليس من التعسف أن نجاري مجاراة من قال : إن غزله متكلف بارد العواطف (٢٤٣) ، وقال أحمد قبش : أما الغزل فقد نظم فيه شوقي ولكن المرأة لم تملأ في قلب الشاعر فراغا كبيرا (٢٤٤) ، ومهما كان من الأمر ، فلا ينتهي قوله إلى التهتر والخلاعة ، وهو القائل :

و علينا من العفاف رقيب
تعبث في مراسه الأهواء (٢٤٥)

وما دام غزله لا يتجاوز حدود العفة ، فلا يتنافى مع شعره الديني ، كما نعرف عند كثير من الشعراء الإسلاميين كحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، والبوصيري ، اللذين بدؤوا مدائحهم النبوية بتقديم الغزل (٢٤٦) .

(٢٤٢) الشوقيات : ٩/٢ .
(٢٤٣) انظر : في الأدب الحديث : لعمر الدسوقي : ج/٢ ، ص/٢٣٧ .
(٢٤٤) انظر : تاريخ الشعر العربي : ص/٧٧ .
(٢٤٥) الشوقيات : ج/٢ ، ص/١١٢ .
(٢٤٦) انظر : لمعرفة العناصر في قصائد حسان وكعب : العصر الإسلامي : د/شوقي ضيف : ص/٧٧ ، ٨٨ ، (دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة) .

مع القضية الفلسطينية :

الحلقة الثالثة الأخيرة

أربعة أعوام على انتفاضة الأقصى المباركة
مكاسب وخسائر .. مخاوف وتطلعات

بقلم : الدكتور محمد حسين خان الندوي
(الدوحة - قطر E.mail: mhusainkhan@hotmail.com)

♦ مكاسب وإنجازات الانتفاضة :

إن هذه التضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب الفلسطيني في الانتفاضة لم تذهب سدي بل حققت الكثير من المكاسب والإنجازات للفلسطينيين ، كما أنها ألحقت العدو الإسرائيلي خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات ، فمن أهم إنجازات الانتفاضة ؛ هي :

أنها وحّدت لأول مرة في تاريخ النضال الفلسطيني كافة الفصائل والمجموعات والحركات الفلسطينية من القوى الإسلامية والشعبية والوطنية ، وجعلت جميعها في خندق واحد ، وذلك لأن الانتفاضة كانت خياراً شعبياً وجماهيرياً دون لعبة سياسية لأصحاب النفوذ ورجال السلطة .

أنها كسرت حاجز الخوف عند المواطن الفلسطيني وأدت إلى إضعاف قدرة الملتزمين بالتسوية على تمرير أي تسوية غير متكافئة ، وبالتالي حالت دون التفريط بالحقوق الوطنية والقومية المشروعة كما أنها فضحت الطبيعة العنصرية الرجعية للكيان الصهيوني وأبقت جذوة الصراع متقدة .

أنها أعادت القضية الفلسطينية إلى حضن العالم الإسلامي ، وأعادت هذه القضية إلى عقيدتها حيث أصبح العالم الإسلامي كله الآن أمام مشهد يغلي ويتفجر غضباً ، والأمة المسلمة من أقصاها إلى أقصاها غضبة غضب أي فلسطيني ، حتى لو فتحت الحدود وأتيحت

الفرصة للجهاد لتوجه عشرات الملايين من الشباب المسلمين لتحرير القدس ، وليست هي إلا إرهاصات لثورة جديدة في العالم الإسلامي .

ومن بركات الانتفاضة وخيراتها أنها دوّلت القضية الفلسطينية من جديد وأعادتها إلى المنابر الدولية ، فرفعت قضية جدار الفصل العنصري إلى محكمة دولية في لاهاي كما أنه نوقشت العديد من أطراف القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة مرات عدة ، ولو أن أمريكا حالت كل مرة دون إصدار قرارات حاسمة من الأمم المتحدة ضد إسرائيل .

ومن أكبر مفاعيلها عالمياً ودولياً أنها جعل الأوربيين يصوتون في استفتاء مفتوح بنسبة ٦٥٪ والأمريكيين بنسبة ٤٣٪ على اعتبار أن إسرائيل هي أكبر خطر على السلام العالمي ، وذلك رغم التعتيم الإعلامي الكبير لسيطرة اللوبي الصهيوني على الإعلام العالمي .

ومن أفضالها أنها أحدثت ثغرة أساسية في الموقف الإسرائيلي التي تتمثل بموافقة أحد أكثر زعماء إسرائيل تطرفاً وهو أرييل شارون على الانسحاب من قطاع غزة بالكامل وأجزاء من الضفة الغربية وتفكيك مستوطناتها ، وقد وافقت على ذلك الكنيست الإسرائيلي .

ومن أنجح ثمراتها أنها دمرت المشروع الصهيوني الشيطاني الاحتلالي التوسعي البغيض الذي كان "من الفرات إلى النيل ومن الأرز إلى النخيل" وحصره في الجدار العازل ، بل جعل القادة الصهاينة يخشون على كيان دولتهم بعد أن كانوا يستهدفون التهام المنطقة كلها مرحلة بعد مرحلة ، فقد أبدى أبراهام بورغ رئيس الكنيست الإسرائيلي مخاوفه بقوله : "ربما يكون جيلنا الجيل الصهيوني الأخير بسبب الانتفاضة" ، وقال أفنيري مشيراً إلى تقوقع المجتمع الإسرائيلي : "عدنا الغاتو وها نحن الآن خائفون حتى لو

ارتدينا الزي العسكري" (١٩) .

ومن أهم إنجازاتها أنها ألحقت إسرائيل خسائر فادحة لم تستطع الجيوش العربية كلها إلحاقها في ثلاثة حروب كما اعترف ذلك شارون نفسه ، فقد قال في إحدى اجتماعاته معرباً عن مخاوفه نحو الانتفاضة ومقارناً إياها بحرب ١٩٧٣م وبالحروب العربية : "لم نستطع أن ننتصر ... وهذه الانتفاضة تقف عائقاً أضرت بنا سياسياً واقتصادياً واجتماعياً أكثر من هذه الحروب" (٢٠) .

وكان شارون قد ادعى في المرحلة الأولى للانتفاضة أنه سيسحقها في مائة يوم ، وها قد دخلت الانتفاضة رغم أنفه في عامها الخامس شامخة ساحقة شارون نفسه وجيشه الكرتوني .

وهكذا ، فالانتفاضة قد حققت هذه وغيرها من الانتصارات والإنجازات الهامة الأخرى في أربع سنوات ما لم تستطع المبادرات التفاوضية أو التساومية أن تنجزها في ظل عملية السلام مع إسرائيل في ١٢/سنة ، بدء من أوسلو ومرورا بـ مدريد والعقبة و وصولا إلى كامبديفد وشرم الشيخ .

♦ أثر الانتفاضة على العدو الصهيوني وخسائره منها :

تركت الانتفاضة آثارها بعيدة المدى على المجتمع الإسرائيلي لإلحاقها إياه أضرارا بالغة وخسائر جسيمة على الصعيد البشري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والمعنوي ، وإن اعترافات شارون بالخسائر الفادحة التي منيت بها إسرائيل خلال الانتفاضة ما جاءت عفوا ، بل هو تعبير واقعي على استحياء لما يعاني منه المجتمع الإسرائيلي بسبب الانتفاضة من حالة عدم الاستقرار والانفلات الأمني ، وحالة الذعر والهلع والرعب ، وشبح الخوف الدائم الذي أقض مضاجع الإسرائيليين ، ويطاردهم في كل مكان ، بالإضافة إلى

الخسائر البشرية والمادية الهائلة التي تدل عليها التقارير والإحصائيات ، ونعرض بعضها فيما يلي بإيجاز :

بالنسبة للخسائر البشرية الإسرائيلية فتبلغ حصيلتها حسب إحصائية جهاز المخابرات الإسرائيلي الداخلي (شين بيت) إلى ١٠١٧/قتلى بينهم ٣١٤/جندياً أو شرطياً ، وقد شن الفلسطينيون ١٣٥٠٨/هجمات بينها ١٣٨/عملية فدائية (استشهادية) أسفرت عن سقوط ٥٥٩٨/جريحاً بينهم ١٠٣٢/جندياً أو شرطياً (٢١) .

وهكذا تراوحت نسبة الخسائر البشرية الإسرائيلية إلى الفلسطينية بين واحد إلى ثلاثة و واحد إلى أربعة ، وهي نسبة غير مسبوقة في الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، فضلاً عن أن الإسرائيليين تكبدوا خسائر اقتصادية كبيرة وعانوا من مشكلات اجتماعية ونفسية بسبب الانتفاضة .

أما الخسائر الاقتصادية والاجتماعية والنفسية الإسرائيلية فهي أكثر من الخسائر البشرية ، وهي حسب ما يلي :

نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية في ٢٠٠٤/٥/١٤م تقريراً عن الخسائر الاقتصادية الإسرائيلية بسبب الانتفاضة ، وجاء فيه أن الخسائر الاقتصادية قد تجاوزت ١٣/مليار دولاراً ، وأن الإسرائيليين سحبوا أموالهم إلى الخارج ما يزيد عن ١٧/مليار دولاراً ، وأن المستثمرين الأجانب سحبوا ٣,٥/مليارات دولاراً مما أدى إلى شطب بورصة تل أبيب ، وهذا بالإضافة إلى شل حركة السياحة والعمل والإنتاج والصناعة إلى حد كبير ، وذلك لانعدام الأمن والاستقرار في الوسط الإسرائيلي ، وحرمانها من العمالة الوافدة التي كانت تأتي إليها من فلسطين يومياً بعدد عشرات الآلاف .

أما على الصعيد الاجتماعي فقد انهار المجتمع الإسرائيلي

نفسياً ومعنوياً ، وعم فيه الفوضى والبلبلة الاجتماعية الشديدة بسبب القنابل البشرية الاستشهادية التي استخدمتها الانتفاضة كأسلحة ناجحة لها ، فأطلقتها في الباصات والمطاعم والمقاهي والملاهي والمنتجعات والأسواق وغيرها من الأماكن الأخرى ، وهذا مما أفقد الأمن للإسرائيليين في كل مناحي الحياة ، وفي كل بقعة من بقاع إسرائيل ، وأجبرتهم على الهجرة العكسية .

وحسب مراكز الدراسات والصحف الإسرائيلية كان لها تأثير عميق على نفسية الإسرائيليين ، فكما نشرت صحيفة معاريف أن بعض العائلات لم ترسل أبناءها إلى المدارس لثلاث سنوات ، ونشرت الصحيفة ذاتها تقريراً من بلدة سديروت حيث أجرت مقابلات مع السكان الذين أعربوا عن خوفهم الشديد من صواريخ القسام ، و أن الأطفال بدؤوا يشعرون بأنواع غريبة من الهلع والفزع (٢٢) .

وحسب الإحصائية التي أخرجتها صحيفة ها آرتس الإسرائيلية ٨٠٪ من الإسرائيليين يرفضون ركوب الباصات ، و ٧٠٪ منهم يعيشون على المهدئات ، وقد ارتفعت نسبة الجنود المتخلفين عن الخدمة في الأراضي المحتلة ، كما أنه ارتفعت نسبة الانتحار بينهم حيث أشار تقرير الجهاز الأمني الإسرائيلي أنه في عام ٢٠٠٢م انتحر ٣١/جندي وفي عام ٢٠٠٣م انتحر ٤٣/جندي مقابل ٣٠/قتلوا في عمليات ميدانية (٢٣) .

وبالنسبة للهجرة الإسرائيلية العكسية فقد ارتفعت نسبتها زمن الانتفاضة إلى ٦٠٪ من عدد سكان إسرائيل ، فكل من لديه عشرة آلاف دولار أخرجتهم إلى الخارج مما أدى إلى انخفاض شديد في معدلات النمو السكاني ، فحسب تقرير لمكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي كان النمو السكاني في سنة ٢٠٠٠م بمعدل ٢،٦ ، وفي عام ٢٠٠١م وصل إلى ٢،٢ ، وفي عام ٢٠٠٢م وصل إلى ١،٨ ، وفي عام ٢٠٠٣م

وصل إلى ١،٧ ، وما زال إلى انخفاض ، ونظراً إلى تلك الأوضاع قد فرض الحظر على الهجرة والسفر إلى خارج إسرائيل إلا من خلال وزارة الداخلية ، لا يوجد في هذه الدولة إلا عائلات الجيش والحاخامات (٢٤) .

◆ مستقبل الانتفاضة واستمرارها في ظل ظروف المنطقة الراهنة :

في ظل العمليات العسكرية الإسرائيلية اليومية وحملاتها التدميرية ضد كل ما هو فلسطيني من بشر وشجر وحجر ، وظل التهديدات الأمريكية المستمرة لدول المنطقة لتغيير معالمها الجغرافية ورسم خريطتها الجديدة بتنفيذ مشروعها الذي يسمى بـ "مشروع الشرق الأوسط الكبير" ، وفي ظل الظروف الأمنية بعد تدمير العراق على خلفية تواجد هذا الكم الهائل من القوات الأمريكية في المنطقة ، وترويج أمريكا فكرة الإرهاب و وضعها جميع الحركات الجهادية الفلسطينية في قائمة الإرهاب ، وإعطاءها إسرائيل الحرية الكاملة لبلطجيتها وعربدتها ضد الشعب الفلسطيني ، وإجبارها الدول العربية والإسلامية على كم أفواهها ولو بكلمة الشجب والتنديد بجرائم إسرائيلية ، وتضاءل دور الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي ، بات من الصعب جداً استمرار الانتفاضة في شكلها الحالي ، وهذه الأوضاع تشكل مخاوف كبيرة في مستقبل الانتفاضة ، وتضع علامة استفهام أمام آلياتها واستمراريتها كما أنها تدعو جميع الفصائل والحركات الفلسطينية إلى إعادة نظرها في استراتيجيتها للمقاومة وما يترتب عليها من التزامات ، وفي هذا السياق يجدر الانتباه بالنقاط التالية :

توثيق الصلة بالرب تعالى في هذه الساعات العصبية الحرجة والالتزام بتقوى الله ، والتحلي بالصبر والثبات والذكر والدعاء .

الاعتماد على الله ثم على النفس وعدم الرهان على سياسة الدول العربية والأمريكية فإنه ثبت للجميع أن سياساتها ليست إلا

امتداداً لسياسة المصالح الإسرائيلية .

تسوية النزاعات والخلافات الداخلية ما بين مختلف الفصائل والحركات الفلسطينية ، وتوحيد صفوفها ، وجعل نصب عينيها هدفها الرئيسي ، وهو تحرير القدس واستعادة الوطن ، أما تباين الرؤى الفلسطينية فيظل منضبطاً في الإطار السياسي دون أن يتحول إلى صراع على الأرض .

استمرار الانتفاضة والمقاومة في أشكال مناسبة للأوضاع والظروف المختلفة حتى تحقيق النصر مع عدم الرفض لمبادرات السلام والمفاوضات السلمية العادلة دون المساومات .

إعادة تقييم الانتفاضة بإيجابياتها وسلبياتها وتطوير أساليبها وآلياتها حسب الظروف المناسبة لها .

تفعيل النشاطات الدبلوماسية والإعلامية على الصعيد العالمي مما يؤدي إلى كسب الدعم العالمي والتعاطف الدولي للقضية الفلسطينية ومعاناة الفلسطينيين .

هذه ، وغيرها من النقاط الأخرى لابد من اعتبارها في استمرار الانتفاضة والمقاومة في المستقبل حتى تأتي بثمراتها الطيبة ، وسيتحقق النصر للفلسطينيين بتوفيق الله ، وهو على كل شئ قدير .

(١٩-٢٠) نقلاً عن برنامج "الاتجاه المعاكس" لقناة الجزيرة الذي نشر عن انتفاضة الأقصى بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/١٢م .

(٢١) نقلاً عن تقرير قناة الجزيرة بعنوان : "أربع سنوات من انتفاضة الأقصى .. نظرة وتقييم" www.aljzeera.net

(٢٢-٢٣) نقلاً عن ما عرضه السيد مأمون التميمي عضو المجلسين الفلسطينيين المركزي والوطني من معلومات بهذا الخصوص خلال نقاشه في موضوع الانتفاضة في برنامج "الاتجاه المعاكس" لقناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/١٢م www.aljzeera.net

(٢٤) نقلاً عن مداخلة الأستاذ سامر الخليوي في برنامج "الاتجاه المعاكس" لقناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/١٢م www.aljzeera.net

رجال فقدناهم :

أدورد سعيد :

عبقرية التنظير وفارس ميدان الكفاح الفلسطيني

بقلم : الأستاذ مجيب الرحمن الندوي
(أستاذ مساعد بمركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيودلهي)

برحيل الأستاذ الكبير أدورد سعيد في نيويورك ، الولايات المتحدة ، في سبتمبر العام الماضي ، قد خسرت الأوساط الأكاديمية العالمية علماً شامخاً من أعلامها البارزين في القرن العشرين ؛ كما خسرت الأمة العربية ركناً عظيماً من أركانها وخسرت القضية الفلسطينية أبرز مناصريها ومدافعيها في الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة ، ولعله لم يستحوذ عربي على اهتمام الطبقة المثقفة في الولايات الأمريكية بعد جبران خليل جبران ولم ينل إعجاب العلماء مثلما ناله أدورد سعيد ، ولقد سالت أحد الأساتذة الكبار العرب في الجامعة الأمريكية بواشنطن أثناء زيارتي لها عام ٢٠٠٢م : ما الذي أنجزه العرب في الولايات المتحدة بعد جبران ؟ أجاب : أدورد سعيد الذي فاق جبران بمعطياته العلمية والثقافية الباهرة .

ولد سعيد في أيروشليم في أسرة مسيحية في عام ١٩٣٥م ودرس في كلية فيكتوريا بالقاهرة ، ومدرسة ماونت هرمون في ماساشوتيس وفي جامعات برنستون وهارفارد الأمريكية ، عمل سعيد بصفته أستاذاً للأدب الإنجليزي في جامعة كولومبيا منذ عام ١٩٦٣م ، وفي عام ١٩٧٣م عين أستاذاً زائراً في جامعة هارفارد ليدرس الأدب المقارن ، وفي عام ٧٦-١٩٧٥م عين زميلاً في مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية في جامعة استانفورد ثم عين أستاذاً زائراً للعلوم الإنسانية في جامعة

جونس هربكنس، عمل سعيد بصفته مدير تحرير لـ "عرب ستديز كواترلي" وكعضو لمجلس العلاقات الخارجية في نيويورك واللجنة الأمريكية للفنون والعلوم، وكعضو للجنة التنفيذية لـ ، وقد حصل سعيد على جوائز عديدة منها جائزة بودين من جامعة هارفارد وجائزة لايونيل تريلينغ في ١٩٧٦م و ١٩٩٤م على التوالي.

لقد عاش أدورد سعيد حياة خصبة بالإنتاجات والمعطيات الثقافية التي كسبته شهرة عالمية، قد اقتحم في خضم الحقول المعرفية من ضمنها الدراسات الانتروبولوجية وتاريخ الفن ودراسات خطاب ما بعد الاستعمار والنظرية الثقافية التي فاق فيها معاصريه الغربيين، لقد استطاع سعيد أن يحول مسار النظرية الثقافية من خلال كتبه ومقالاته ودراساته التي تراوحت موضوعاتها بين النقد الأدبي والسياسة ونقد الموسيقى ودراسة ما يسمى في حقل الفلسفة المعاصرة تحليل أنظمة الفكر.

صعد نجم سعيد في سماء الأكاديمية العالمية بظهور كتابه العظيم "الاستشراق" في عام ١٩٧٦م، الكتاب الذي أثار حواراً وجدالاً واسعين في الجامعات الغربية والعالمية وسرعان ما ترجم إلى لغات عالمية كثيرة وبوأه مكانة شامخة في الأوساط الأكاديمية الدولية، ومن بين كتبه الأخرى: جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية (١٩٦٦م) بدايات: القصد والمنهج (١٩٧٥م) والقضية الفلسطينية (١٩٧٨م) وتغطية الإسلام (١٩٨١م) والعالم والنص والناقد (١٩٨٤م) ما بعد السماء الأخيرة: حيوانات فلسطينية (١٩٨٤م) ويوم الضحايا (بالاشتراك مع كريستوفر هيتيشنز (١٩٨٨م) وتنويعات موسيقية (١٩٩١م) والثقافة الإمبريالية (١٩٩٣م) وسياسة السلب: الكفاح من أجل حق تقرير المصير الفلسطيني (١٩٩٣م) وصور المثقف (١٩٩٤م)

وغزة أريحا: سلام أمريكي (١٩٩٤م) والقلم والسيف، حوارات مع ديفيد بارساميان (١٩٩٤م) واسلو/٢: سلام بلا أرض (١٩٩٥م) وخارج المكان؛ شبه سيرة ذاتية (١٩٩٥م) والسلطة؛ السياسة والثقافة: حوارات مع أدورد سعيد (٢٠٠٣م) وفرويد غير الأوربيين (٢٠٠٣م).

تمثل سعيد كأبرز المنظرين في حقل الدراسات الاستشراقية والدراسات الثقافية في القرن العشرين وتنوعت مجالات اختصاصاته الأكاديمية ببراعة فائقة، وكان تنظيره في حقل الدراسات الثقافية نتيجة استيعابه لعلوم الغرب مع روح شرقية مصحوبة ببصيرة نفاذة وحماس بالغ، لقد اختار لنفسه أن ينتقد ويتحدى المسلمات الغربية في الفكر ويطرح على الناس الأسئلة المربكة المعقدة وأن يواجه الأفكار التقليدية والعقائد الجامدة لا أن ينتج تلك الأفكار ويمارس تلك العقائد، ظل سعيد طوال حياته عرضة للتهديدات والإهانات الصهيونية والإعلام الغربي، ولكنه لم يفكر قط في التهاون مع المواقف التي آمن بها في حياته الشخصية وحياته المهنية والفكرية.

إن المتتبع لأعمال سعيد يلمس مجرى عاماً في معظم كتاباته وهو جمعه بين الموقف السياسي والموقف العلمي المتأصلين في الواقع الذي عاشه، وهذا الجمع يدفع عمله إلى الأمام ويجعله أكاديمياً ناشطاً وملتزماً وهادفاً، إن الاهتمامات المتعددة عنده كانت تنبع من بؤرة محددة أساسية وهي انشغاله الدائب بالقضية الفلسطينية التي من أجلها ظل مركز سخط مثقفي الغرب وما أكثرهم في الولايات المتحدة، ولكنه تحلى بالقوة الأخلاقية لقول الحقيقة للسلطة أينما وجدت في السياسة والثقافة كذلك، ولعله اتخذ من كتابه العظيم "الاستشراق" نافذته التي أطل منها على فلسطين ومأساتها فتناول بالتحليل استراتيجيات الفكر الغربي في التعامل مع ما ليس غربياً

وتوصل إلى أن مأساة الفلسطينيين ناجمة من قدرة الصهاينة على نشر صور نمطية عن العرب والمسلمين وجعل المواطن الغربي يصدق هذه الصور.

وفي مقال له "آخر المحرمات الأمريكية" نشر في "نيو لفت ريفيو" ونشرته "الثقافة العالمية" الصادرة من الكويت في عدد سبتمبر ٢٠٠١م، يقول سعيد: إن الصهيونية أحرزت نصرا شبه تام في الولايات المتحدة واستطاعت الصهيونية الأمريكية بفضل هيمنتها الجبارة على جميع قطاعات السلطة في المجتمع الأمريكي أن ترسم الصورة العامة بأن إسرائيل محاطة برماة الحجارة البربريين وأن استخدام الصواريخ والدبابات والمروحيات يتم لمواجهة هذه القوة التوسعية الغازية من أجل حماية الإسرائيليين منها، ويقول سعيد فيه: إن قضايا مثل الإجهاض والشذوذ الجنسي وعقوبة الإعدام وحتى الميزانية العسكرية المقدسة يمكن مناقشتها ببعض الحرية وحتى يمكن الحديث عن إحراق العلم الوطني وما إلى ذلك في الولايات المتحدة، ولكن مناقشة علنية جادة حول ماضي أو مستقبل إسرائيل فهي أمر محرم ويعتبر معاداة للسامية، أما بالنسبة لحل القضية الفلسطينية فيرى سعيد أن الحل لا يكمن في أن نلقي بأنفسنا في أعتاب الرحمة الأمريكية، وأن كل التسويات السلمية التي تتم في ظل افتراض التحالف مع الولايات المتحدة لا تفعل سوى التأكيد على هيمنة الصهيونية، بل الحل يكمن في تغيير السياسة الأمريكية والسبيل إليه لا يتأتى إلا من خلال حملة جماهيرية لصالح حقوق الإنسان الفلسطيني بالالتفاف على المؤسسة الصهيونية والاتجاه مباشرة إلى الشعب الأمريكي، وبمقدور الأمريكيين بحالهم الراهنة - جاهلين بالحقيقة ولكنهم منفتحون على البحث عن سبيل إرساء العدل - أن

يستجيبوا كما استجابوا لحملة المؤتمر الوطني الأفريقي ضد التمييز العنصري والتي غيرت أخيراً ميزان القوى داخل جنوب إفريقيا.

وهذا العالم الكبير قد رفض أن يتقوقع في بيئته الأكاديمية كأستاذ مرموق للأدب الإنجليزي في جامعة كولومبيا الأمريكية وفضل أن يكون مدافعاً عن الحق الفلسطيني في قلعة الغرب المعادية لحقوق الفلسطينيين، وليس سهلاً أن ينهض أحد لحق العرب وفلسطين في الغرب عامة وفي أمريكا خاصة، لا يخفى على أحد أن الكتلة الصهيونية تحصل على دعم كبير من أفراد ومنظمات قوية في الولايات المتحدة، ولكن الأهم من كل ذلك هو سياسات الإمبريالية والاستعمار التي خلقت إسرائيل ومدت بكل دعم ومعونة باستمرار قبل قيام إسرائيل وبعدها كبؤرة للهيمنة الغربية في قلب الشرق الأوسط الغني بالنفط، وبعد أن فرضت الولايات المتحدة هيمنتها على العالم الغربي خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أصبحت إسرائيل تعمل مع جاراتها العربية بغطرسة منقطعة النظير ورأى الغرب أن المجتمعات العربية ليست إلا مركز فوضى ومصدر القوات العاملة ضد المصالح الغربية، أما الإسلام: فتم تصويره كمناوئ حضاري للعالم اليهودي - المسيحي والإغريقي - الرومي للشعوب البيضاء، وبالتحديد هذا هو السبب الذي من أجله أقيمت إسرائيل في قلب العالم العربي وزودت بالمعونة العسكرية والاقتصادية الهائلة (حتى القدرة النووية) لكي تكون حصناً حصيناً ضد الخطر المزعوم الذي يشكله "الإسلام المقاتل"، فتحرص السلطة الإمبريالية الأمريكية أن تعمل مع العرب مثلما عملت الفاشستية الأوربية مع اليهود في بداية القرن العشرين.

وهذا أصل المأساة الفلسطينية، أما فيما يتعلق بالرأي

الأمريكي العام فإن مداولات سعيد البليغة حول معاناة شعب بدون الوطن لم تكن لتصل وتؤثر إلا على مجموعة قليلة من النخبة الأمريكية الليبرالية ، ولكنه لم يستيئس ولم يفقد عزمه قط ، وحتى في أيامه الأخيرة التي كان يكافح فيها بمرض السرطان الفاتك الذي قضى على حياته ، كان سعيد يكتب للجرائد والمجلات ويعطي حوارات ومحاضرات ومقابلات للتلفزيون دفاعاً عن حق فلسطين ، فبين عام ١٩٩٠م و ٢٠٠٠م نشر له أكثر من ستين مقالة إضافة إلى عديد من المقابلات التلفزيونية حول قضية فلسطين ، كان يعتقد سعيد ويصرح بأن العقلاني الملتزم ينبغي أن لا يحبس نفسه في وظائف مهنته ومجال تخصصه الأكاديمي ، بل إن عليه مسئولية أهم وأكبر تجاه المجتمع والطبقات المهمشة والمستضعفة التي تكون أصواتها غير ممثلة ، وفعلاً إنه قدم مثالاً رائعاً لذلك ، أما منفاه الذي كان يشعر به بشدة ، فذاك أمر ارتضاه لنفسه ولكنه حسب نفسه دائماً فلسطينياً ساكناً في الغرب ، فيزور فلسطين حيثما تتسنح له فرصة ويكرس حياته لمصلحة ؛ لقضية ولغاية ولتصور وهو الحق الفلسطيني من وطنه .

وهذا المجتمع الذي تصوره وكافح من أجل تحقيقه لم يكن سهلاً تصوره أو تحقيقه بعد أن تصوره ، فعلى الرغم من الشهرة الفائقة كأكاديمي ناجح وبارع ، لم يرتض لنفسه أن يقتنع بل خاض في بحث عن منظور نقدي متبادل في الدراسات الثقافية الغربية ، فاختار سعيد أن يكون فلسطينياً وعربياً وشخصاً من العالم الثالث ثم تقدم لكي يصور نفسه عضواً من مجتمع منفي متفكك بدون الوطن ، مما أعطاه موقفاً قوياً وقوةً أخلاقيةً ليوجه نقده إلى النصوص الغربية الكلاسيكية ، لقد استوعب سعيد مفاهيم الغرب وهضم معارفه ومناهجه الجديدة ببصيرته النافذة وعقله التحليلي واستطاع أن يعيد

تأطير فكر المستشرقين وإنجازهم مفككاً هذا الفكر واضعاً الاستشراق في إطاره التاريخي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وصولاً إلى النصف الأول من القرن العشرين ، وقد وصف سعيد الاستشراق بأنه ممارسة من ممارسات القوة تخدم - بغض النظر عن الحالات الاستثنائية - برنامجاً استعمارياً للهيمنة والسيطرة ، ولم تكن أهدافه من ثم عملية خالصة كما ادعى ممارسوه وأتباعهم ممن درسوا تاريخ الاستشراق وإنجازه النصي ، رأى سعيد : "إننا إذا أخذنا نهايات القرن الثامن عشر كبداية محددة تقريبية للانطلاق منها ؛ فإن الاستشراق يمكن مناقشته وتحليله كمؤسسة مشتركة للتعامل مع الشرق - التعامل معه بإطلاق تصاريح حوله وفرض زوايا نظر عليه و وصفه من خلال تدريسه وتحديده والحكم عليه ، وبالاختصار : الاستشراق عبارة عن أسلوب غربي لإحراز السيطرة على الشرق وإعادة هيكلته وتحقيق الهيمنة عليه". (الاستشراق : ص٣) .

المواقف مهمة في أعمال سعيد ، يوضح سعيد بصراحة في بداية كتابه : "الاستشراق" أنه يكتب من موقف محدد ؛ موقف له خصوصيات جغرافية وتاريخية وعقلية وأخلاقية وبدونها يضيع مغزى ما يريد أن يقوله ، الابتكار المميز للاستشراق قد هز الأوساط الأكاديمية في العالم الغربي ؛ وقد ظهر في وقت مناسب حيث أصبحت ما بعد الهيكلية التاريخية الفوكلدية شبه أرثوذكسية شائعة وبدأت الماركسية تفقد أثرها ونفوذها في السبعينات وأخذت الاتجاهات اليمينية تسيطر على المراكز السياسية والاقتصادية لسلطة المعرفة ، وفي هذا الأوان ظهر الاستشراق الذي حاول فيه سعيد إنتاجاً عقلياً وثقافياً لتصور الغرب مع الشرق - علاقة المستعمر بالمستعمر - وكما اعترف سعيد بأنه استفاد في عمله من كتاب آخرين : (شرقيين

وغربيين) ولكن استخدامه للإطار الفوكلدي للسلطة الذي أثار نقاشاً حاراً وأدى إلى تحديد طريقة تطبيقية ، أعطى صبغة خاصة لنظريته كما أضفى على خطابه قوة خاصة ، إن عالم المقهور والمكبوت والمستضعف والمهمش قد وضع مقابل خلق قسري للشرق في الخطاب الغربي المهيمن ، إن عمق بصيرته العلمية وإشراق جدله وسحر لغته وبيانه وليبراليته الأخلاقية المتميزة التي تبرز تعاطفه مع المستضعف ، كل ذلك بوأه مكانة شامخة في الأوساط الأكاديمية ، ولا نجد له نظيراً لا في الشرق ولا في الغرب ، لقد حول : "الاستشراق" مسار دراسات الآخر وأثر عميقاً في حقول بحثية ومعرفية عدة تيارات فكرية وأجيال من الباحثين ، كما أنه مهد لظهور ما يسمى الآن : "دراسات ما بعد الاستعمار" التي تعيد النظر في الخطاب الاستعماري حول البلدان والشعوب المستعمرة ، والأصح أنه أعطى وجهة خاصة لـ "دراسات ما بعد الاستعمار" ، الأمر الذي وسع آفاق الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية في كثير من دول العالم الثالث ، وبغض النظر عن بعض "الآثار الجانبية" للكتاب ؛ فإنه لا يزال يتمثل كنص أساسي في فهم الغرب .

استخدم سعيد لهجة هجومية في رؤيته النقدية وعمله المعرفي رافضاً النظريات الأصولية في فهم الأدب والتاريخ ، فكان كتابه مثابة نقد مضاد لكل هذه النزعات الأصولية حيث اختار لهجومه موضوعاً من أكثر الموضوعات الشائكة في التفكير الغربي حول الشعوب الأخرى وهو الدراسات الاستشراقية ، واستند في انتقاده إلى أرشيف ضخم من الكتابات الاستشراقية كما استند إلى معرفة دقيقة بمناهج التحليل الغربية الجديدة التي قرأت مناطق أخرى من ممارسات القوة - المعرفة ، وكشفت عن فضيحة العقل الغربي في ثوب التنوير

والحداثة ، ومن هذا المنطلق يصح أن نقول : أن سعيد في كتابه : "الاستشراق" وفي كتابه التالي : "الإمبريالية والثقافة" قد أثر نقاداً وباحثين من جيله في الدراسات الثقافية الذين بدأوا يعيدون النظر في كثير من المسلمات التي روج لها الغرب عن العلوم البشرية .

وفي كتابه : "بدايات" التي هي من أعماله البدائية والتي بحث فيها المؤلف عن مشاكل بداية العمل الأدبي والفني واختيار الكاتب موضوعاً له لكي يكون مسرح عمله المستقبلي ؛ قد أثار سعيد في ثنايا بحثه تساؤلات جذرية حول اللغة بوصفها موضوعاً للتفكير ، وحول الهيمنة الثقافية لمجال ثقافي أو قومي على آخر ، وحول الأصالة والتحرر والحرية (بدايات : ص/٣٨١) .

وهي نفس الأسئلة التي تناولتها أعماله التالية بالبحث كالاستشراق وكتبه الأخرى حول قضية فلسطين ، وأما في "الإمبريالية والثقافة" الذي يعتبر ثاني أهم كتبه بعد الاستشراق ، فإنه قد وسع ما قاله في الاستشراق ، وفيه ربط سعيد كتاباته حول دور المثقف و وظيفته بنقده للثقافة الغربية وأشكال الهيمنة الغربية على العالم الغربي كما حاول أن يسجل تاريخ المقاومة لجهاز سلطة المعرفة ونادى بـ "القراءة الطباقية" للنصوص الغربية والخطاب الغربي الذي هو عبارة عن إعادة قراءة الأرشيف الثقافي للمستعمر والمستعمر.

إذن كان سعيد في رحلته الأكاديمية مدفوعاً بمهمة عظيمة جدّ وجاهد طوال حياته للقيام بها وإنجازها بطرق و وسائل عديدة وظل وفياً لها طوال حياته : الكتابة الأكاديمية والأبحاث المتخصصة ، الكتابة الصحفية والمقابلات التلفزيونية والإذاعية والمشاركة في مسيرات واحتجاجات ، وبذلك أصبح أيقوناً ملهماً للمثقف الملتزم بوظائفه في

المجتمع لا كعقلاني البرج العاجي يحبس نفسه في سجن تخصصه الأكاديمي يلقي محاضرات في قاعات مكيفة ولا يهمه ما يدور حوله من أحداث خطيرة .

كان سعيد شخصية متعددة المواهب وعبقرية فذة ، فإلى جانب أبحاثه المبتكرة في الدراسات الثقافية ؛ كان شغوفا بالموسيقى وألف كتابا حولها ، وقد قرأنا في الصحف : إنه كان يتكلم في بيته مع أسرته باللغة العربية وظل يحلم بالعودة إلى وطنه فلسطين ، ولكن المنية حالت دونه ولكن حلمه سيتحقق إن شاء الله عندما سينال الفلسطينيون حقهم المهضوم من وطنهم ، لقد خلف سعيد ابنا وبنتا كما خلف تراثا ذهبيا من المعطيات العلمية والثقافية الغزيرة التي لا تعود بنفع على الأمة العربية فحسب بل على سائر الشعوب المستضعفة والمهمشة التي لا تزال أصواتهم غير ممثلة ، إن سعيد مثال لمثقف العالم الثالث الحر ، ولعل هذا الالتزام المثالي وهذه العبقرية الفائقة هي التي حملت مجلة : "تائم" الأمريكية على أن تضعه في المراتب الأولية لقائمة عشرة من العقلانيين الكبار الأحياء في العالم في عام ١٩٩٩م .

المراجع :

(١) أدورد سعيد : الاستشراق (الإنجليزية) .

(٢) أدورد سعيد : الثقافة والإمبريالية (الإنجليزية) .

(٣) أدورد سعيد : بدايات (الإنجليزية) .

(٤) مجلة الثقافة العالمية ، عدد رقم/١٠٨ ، سبتمبر-أكتوبر ٢٠٠١م .

(٥) مجلة العربي ، عدد رقم/٥٤١ ، ديسمبر ٢٠٠٣م .

(٦) مجلة سوشل سائنتست (الإنجليزية) ، مجلد/٣١ ، عدد/ ٩-١٠ ، سبتمبر-أكتوبر ٢٠٠٣م .

صور و أوضاع :

حسن الجوار قبل الحوار

الأستاذ السيد واضح رشيد الحسني الندوي

كثيراً ما نستمع اليوم من وسائل الإعلام ، ونقرأ في مقالات وبحوث أصحاب الأقلام المحللين لأوضاع العالم المعاصر ، أن العالم أصبح اليوم قرية واحدة ، بتأثير وسائل الإعلام ، بما فيها القنوات الفضائية التي تنقل من أقصى العالم إلى أقصاه الآخر ، كل دقيقة في كل دقيقة صورة ، و وصفاً ، وشبكات الإنترنت التي تفيض بها المعلومات ، وقد انتشرت أجهزة الإنترنت في مدة قصيرة ، كالتلفزيون والكمبيوتر ، وتطورت صناعتها إلى حد أن الجوالات بدأت تؤدي خدمة سائر وسائل الإعلام ، ففي استطاعة كل فرد مزود بمثل هذه التسهيلات أن يعرف ما يقع في العالم بل يشاهده ، من الألعاب الرياضية إلى حوادث المرور ، ومواعيد القطارات ، والطائرات وحجز المقاعد ، إلى الأحداث والوقائع السياسية .

وقبل نصف قرن تقريباً لم تكن حتى وسائل الصحافة متوفرة في كل منطقة ، وكانت هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة ، وهي وسيلة محدودة باعتبار الزمان والمكان ، ولم تكن وسائل الطباعة عامة ، فكانت آلاف من المخطوطات مخزونة لم تر النور ، والآن يتدفق سيل من الكتب ، وانتشرت الكتابة والطباعة ، وأقبل الناس على اقتناء الكتب ، ونشأت مكتبات شخصية ، ويعتبر ذلك من مظاهر الثقافة .

جعلت هذه المعرفة الميسرة ، الشائعة ، العالم بمثابة قرية واحدة ، وتثقف بفضلها كل إنسان وإن كان غير متعلم أو غير قارئ ، فلا يصعب على الإنسان اليوم أن تكون لديه معرفة عن سكان منطقة أخرى بعيدة عنه أو ما يحدث فيها ، بفضل هذه الوسائل ، وأن يكون متفاهما معه ومنسجماً ، كما يكون الإنسان في مدن متحضرة ، حيث تحتشد القوى العاملة ، ورجال مختلف الأجناس والعناصر ، ويجرى التعايش بينهم على أساس التفاهم ، واحترام الآخر ، تتلاشى فيها فوارق اللغة والثقافة ،

والعقيدة ، و العبادة ، و مثل هذه التعايش يشاهد في المصانع ، والمعامل ، والمدارس ، والمسارح ، حيث يجتمع المستفيدون من هذه التسهيلات ، وهم رغم انتمائهم إلى مجموعات وعناصر مختلفة ، متعارضة يستفيدون من هذا الغرض متزاملين و مترافقين ، و هكذا سارت المجتمعات البشرية في السابق ، في عهد كانت وسائل التقارب محدودة ، لكن روح التزامل كانت عالية ، وبهذه الروح قامت الحضارات ، بروح الأخذ والعطاء ، والاستفادة من المعرفة والتجربة حيثما كانت وأينما كانت ، وإن اكتشاف هذه الوسائل للإعلام كان من شأنها أن تزيد هذا التقارب والتفاهم ، وتجعل العالم أسرة واحدة ، إذا كانت الروح العاملة والمحركة لها روح التعاطف والتحابب ، والتعاون .

تتجلى هذه الروح في الكلمة المأثورة "الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها" ، وقد سار المسلمون في عهد مجدهم وسيادتهم على هذه الحكمة ، فإنهم في هذا المجال أكثر الأمم تسامحاً ، ورحابة صدر ، وقد فتحوا في عهد الالتقاء الحضاري ، الذي امتزجت فيه الثقافات في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، مجالات الأخذ والاستفادة ، ثم مجالات العطاء الحضاري عندما ارتفعوا وفاقوا غيرهم في الحضارة ، فقاسموا الأمم الأخرى بدون أي تمييز أو تعصب ، إنهم أعطوا كل ذي حق حقه ، فانتشرت حضارة المسلمين في العالم بدون إحداث كراهية أو شحناء أو عداوة ، ومنح المسلمون حرية الفكر والتعبير ، فكان عدد من ناقلي الآداب ، والفلسفات ومترجميها من غير المسلمين ، أتيحت لهم فرص البحث والتحقيق ونقل العلم وإثراء الحضارة بدون أي تمييز ، وهكذا نشأت وترعرعت الحضارة الإسلامية باشتراك عناصر مختلفة في قرطبة ، والقاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وأنارت العالم كله ، وكانت ميزة هذه الحضارة الوحدة والتضامن .

هذه هي ميزة الإسلام والمسلمين ، فلم يسمع في تاريخ المسلمين القديم تعبير صراع الحضارات ، لأن المسلمين لم يكونوا يعانون من مركب النقص ، وضيق الفكر بالنسبة لحضارتهم فإنهم كانوا يعتقدون أن الأفضل والأنفع يبقى ، وأما الزبد فيذهب جفاء : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فسالت أودية بقدرها * فاحتمل السيل زبدا رابيا * و مما يوقدون عليه في النار * ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله * كذلك يضرب الله الحق بالباطل * فأما الزبد فيذهب جفاء * وأما ما ينفع الناس * فيمكث في الأرض ﴾ (الرعد/١٧) وهذه هي الحقيقة أن الذي يثق بصلاح فكره ، ومنهج حياته ، لا يراوده خوف ولا حزن ، بل يعيش مطمئن النفس مرتاح البال ، مثل البائع الذي يحمل خير المتاع ، لا يخشى أن يصاب بالكساد ، أو انصراف الزبائن ، والذي يحمل المتاع الزائف دائما يعاني من القلق ويخشى أن ينكشف زيفه .

إن موقف أوربا إزاء حضارتها ، هو موقف الرجل الذي يعاني من مركب النقص ، وموقفها من الإسلام والحضارة الإسلامية ، هو موقف الرجل الذي لا يثق بنفسه ولا بماله ، ولا بقوته ، ولا بعقيدته ، ويرجع هذا الموقف إلى القرون المظلمة التي نشأت فيها طبيعة خاصة مرت فيها أوربا بتجربة مريرة ، لا يزال يطاردها شبحها ، كانت أوربا كلها في غاية من التخلف في سائر مجالات الحياة ، وكان العالم الإسلامي في ذلك العهد على قمة المجد والسيادة والرقي .

إن نظرية صراع الحضارات ناتجة عن خوف غلبة الإسلام وانتصاره في معركة الحياة ،وتنم عن هذه النفسية الانهزامية التي نشأت في ذلك العهد العظيم .

ويعترف المنصفون من علماء الغرب بما اكتسبوه من الحضارة الإسلامية ، وما هي العناصر المستوردة في الحضارة الغربية ، من الحضارة الإسلامية .

ويعرف المؤرخون أن سائر الحروب كانت مفروضة على العالم الإسلامي من قبل الدول الأوربية ، سواء كانت باسم الصليب أم كانت للمصالح السياسية المادية ، ولم تحدث من قبل المسلمين أي محاولة لفرض حضارتهم على غيرهم ، بل بلغ منهم التسامح في ذلك أنهم أطلقوا الحرية في العقيدة ، والثقافة ، حتى في الأكل والشرب ، والتعليم ، فكان المسيحيون واليهود ، وغيرهم من أتباع الأديان أحرارا في منهج حياتهم ، وعبادتهم ، وكانت معابدهم مصونة عن كل تدخل من النظام الإسلامي .

ولكن أوربا سلكت في عهد الاستعمار سياسة تختلف عن سلوك

المسلمين ، إنها قامت بتشويه تاريخ الأمم وثقافاتها ، وقمع الشعوب الخاضعة لها ، فلما بذلت هذه الشعوب نضالها للحرية ، استخدمت سائر الوسائل لقمع الحريات ، وإهدار كرامة الإنسان ، وتشويه الحقائق ، وتضليل الرأي ، وما فعلته فرنسا في الجزائر ، وإيطاليا في ليبيا ، وبريطانيا في الهند . لا يخفى على أحد ، ثم قامت هذه الدول بدعم النظم الاستبدادية وساندت القوى التي تمارس التفرقة العنصرية ، في إفريقيا ، ويشكل ذلك كله جزءاً من التاريخ المعاصر ، ثم جاء دور الاشتراكية ، وهي معروفة بسياسة الحصار والتأميم ، والتعتيم ، وقمع الحريات ،وقتل النفوس، والتعذيب والتنكيل للسجناء الذين زج بهم إلى السجون بدون أي دليل ، كل ذلك جزء من تاريخ أوربا المعاصرة .

أما إشاعة الفحشاء ، وترويج المنكرات التي تتعارض مع الخلق الإنساني النبيل ، والاستغلال الاقتصادي للدول المستضعفة ، فهي أمور متعارفة شائعة ، وأضافت أوربا عنصراً جديداً ، وهو التدخل في نظم التعليم والتربية ، وفرض الحظر على المعونات للفقراء والمساكين ، وأعمال الإسعاف ، وفرض سيطرتها على الشعوب الضعيفة ، حتى المعونات التي تقدمها مربوطة بأهداف استعمارية ، ومصالح سياسية .

في خلفية هذه الإجراءات الجائرة ، ومحاولات التدخل في الشئون الداخلية ، توجه الدعوة اليوم إلى حوار لتبادل وجهات النظر للتعايش السلمي ، وقد بدأت سلسلة من الحوارات في مختلف أنحاء العالم ، وهو في الواقع حوار بين قوي وضعيف ، وبين قاهر ومقهور ، وبين من يتهم ، ويلوم ، وبين من هو في قفص الاتهام ، وما يحدث في العالم اليوم وما حدث في الماضي معروف لدى كل من لديه أدنى معرفة بالتاريخ والواقع ، ولا تزال وسائل الإعلام تنقل إلى المستفيدين ما يحدث في العالم من تدخلات ، وإجراءات قاسية ، وسلب الحريات ، والتهديدات ، وحماية المجرمين ، ومخالفات حقوق الإنسان ، كيف يجرى هذا الحوار ، وكيف يؤدي إلى حل المشاكل والأزمات ؟.

إن الحوار يفيد في جو الحرية ، واحترام الرأي ، والمساواة أمام القضاء ، أو أمام لجنة تحكيم عادلة لا تميز بين المعتدى والمعتدى عليه .

ومثل الحوار ، توجه الدعوة إلى العلماء والمفكرين المسلمين ، والعاملين في مجالات العمل الإسلامي لزيارة أمريكا ، وتزور بعثات من الدول الأوربية وأمريكا ، المؤسسات الإسلامية ، وتلتقي بالشخصيات الإسلامية ، وتدعو إلى التفاهم بين الإسلام والمسلمين ، والمسيحية والعالم المسيحي ، وفي الوقت نفسه يعرف العالم الإسلامي ما يجرى عن طريق الإعلام من حملة الكراهية للإسلام في سائر وسائل الإعلام ، وتتخذ إجراءات لفرض الحظر على سائر النشاطات للعمل ، حتى الأعمال الخيرية ، ويراقب على تحركات الدعاة ، والعلماء ، وتعد قوائم للشخصيات الإسلامية في الدول الإسلامية بمطالبة تسليمها إلى أمريكا ، ويلقى القبض على الشخصيات التي تزور الدول الأوربية للعلاج أو التجارة ، أو حضور حفل ديني ، أو ترفض السلطات منح التأشيرة ، أو تلغى التأشيرة إذا كانت قد صدرت في الماضي ، ويستمر صدور كتب و بحوث في الطعن في الإسلام ، ومحاولات للإساءة إلى المقدسات الإسلامية ، ولا تخفى هذه الأمور على أي شخص ، فإن العالم أصبح قرية صغيرة بفضل الإعلام و وسائل الاتصالات والمواصلات .

تستمر سائر هذه الإجراءات والنشاطات ، ويعرفها المتابعون لها ، ثم يطالب بإجراء الحوار ، في هذا الجو الساخن ، جو الكراهية ، و الاعتداء ، فما معنى هذا الحوار؟ ، والذين يشتركون في مثل هذه اللقاءات ، ماذا يحملونه من رسالة ، إنه سؤال يراود كل ذي فكر وبال ، ومطلع على مجريات الأمور في العالم .

إن الوضع يحتاج إلى إجراءات إصلاحية ، وتغيير السياسة ، على سائر المستويات ، وإلا فإن الفجوة بين الفريقين تتوسع ، والمرارة تزداد ، ولا ينفع الحوار ، إلا بحسن الجوار والإحسان ، والاحترام المتبادل ، والاستجابة للمشاعر العامة ، أما الإجراءات القمعية مهما بلغت من القسوة ، لا تزيد إلا اشتداداً في المقاومة والمجابهة ، وتكون عواقبها أسوأ من عواقب الإجراءات القاسية في عهد الاستعمار .

****

تهاني قلبية لفضيلة الشيخ محمد ولي الرحماني
على منصبه الجديد

قلم التحرير

أفادت الأنباء بتعيين فضيلة الشيخ محمد ولي الرحماني نجل العلامة الشيخ منة الله الرحماني رحمه الله ، لمنصب نائب أمير الشريعة لولايات : "بيهار" أريسة" و "جهارخند" وأمير الشريعة الحالي هو فضيلة الشيخ محمد نظام الدين حفظه الله تعالى ، كما أنه الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند .

ومما يعلم أن فضيلة الشيخ العلامة منة الله الرحماني رحمه الله كان قد شغل منصب أمير الشريعة ، وكذلك منصب الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، حتى آخر أيام حياته ، وقد ازدهرت المؤسستان كلتاهما في عهده وعم نفعهما .

وقد آل منصب نائب أمير الشريعة للولايات المذكورة إلى نجله الكريم فضيلة الشيخ محمد ولي الرحماني حفظه الله تعالى .

ونحن إذ نهنئه على هذا الشرف الديني الكبير ، نبتهل إلى الله تعالى أن يجعل ذلك في صالح العلم والدين ، وفي طريق تطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة والمجتمع ، والله ولي التوفيق والسداد .

هيأة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند
تعقد اجتماعها الـ ١٨ حول البحث في القضايا الشرعية المهمة

ستعقد - بمشيئة الله تعالى - هيأة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند اجتماعها الثامن والعشرين في مدينة بوفال بولاية مدهيابراديش الهند ، برئاسة سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، رئيس الهيئة ، ورئيس ندوة العلماء العام ، وذلك في الفترة ما بين ٢٩ - ٣٠/أبريل ٢٠٠٥م واليوم الأول لشهر مايو ٢٠٠٥م .

ويرجى أن يكون هذا الاجتماع ذا أهمية كبيرة بالنظر إلى القضايا المستجدة خلال فترة ماضية ، ونشوء اتجاه نحو الانفصالية ، وتشتيت هذه الجبهة الشرعية الموحدة ، بإنشاء هيئات محلية عديدة للأحوال الشخصية وتوزيع الأمة بين أحزاب وجماعات .

وستدرس الهيئة في هذا الاجتماع - بإذن الله تعالى - أهمية الحركة ، لصحوة شرعية عامة و وضع برنامج خاص بذلك .

◆ **إصدارات جديدة** :

النظام الاجتماعي في ضوء أحاديث الرسول الكريم ﷺ
صدر من المجمع الإسلامي العلمي التابع لندوة العلماء

ترجمة وشرح كتاب : "الأدب المفرد" للإمام البخاري ، في مجلدين ضخمين بقلم سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي ، المستشار التعليمي لندوة العلماء ، وهي تحمل اسم (النظام الاجتماعي في ضوء أحاديث الرسول الكريم ﷺ) .

وقام سعادته بترجمة هذا الكتاب الضخم إلى اللغة الأردية وشرحه في ضوء السنة ، بأسلوب بليغ ، ولغة فصيحة ، وبذلك أصبح هذا الكتاب موضع استفادة كبير للأمة الناطقة بلغة أردو ، وخاصة في شئون الحياة الفردية والآداب الاجتماعية التي تستلزم الاستضاءة من الكتاب والسنة ، ولذلك فإن لهذا الكتاب دوراً مهماً عملياً في تزكية الحياة من الشوائب

المادية ، وتركيزها على الخط الإسلامي الأصيل .

****

وصلت إلينا مؤلفات وكتب حديثة الصدور من أصحابها المؤلفين الكرام نذكر فيما يأتي أسماء الكتب ومؤلفيها :

١- "العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، آثار حياته" باللغة الأردية بقلم : الأستاذ الدكتور عباد الرحمن نشاط ؛ أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقاً .

٢- "العلوم العربية الإسلامية والمستشرقون" باللغة الأردية - بقلم : الأستاذ الدكتور محمد ثناء الله الندوي ؛ أستاذ بالقسم العربي بجامعة عليكره الإسلامية في الهند .

٣- "نقوش بزركان" باللغة الأردية (آثار السلف) يحتوي على آثار حياة الشيخ أحمد بزرغ ، والشيخ محمد سعيد بزرغ - بقلم : الشيخ عبد القيوم الراجكوتي ، مساعد المفتي بالجامعة الإسلامية في بلدة دابيل (غوجرات) الهند .

◆ **إلى رحمة الله تعالى** :

١- رحيل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في القاهرة

أفادت الأنباء بوفاة الأديب المصري الشهير الدكتور شوقي ضيف ، صاحب المكانة المرموقة في الدراسات الأدبية والنقدية في مصر ، وصاحب المؤلفات القيمة في تاريخ الأدب العربي ، ورئيس كلية اللغة العربية في جامعة القاهرة سابقاً ، ومدير مجمع اللغة العربية المصرية ، والفائز بجائزة الملك فيصل في الفنون الأدبية ، وذلك في ١٠/مارس عام ٢٠٠٥م - ٢٨/محرم ١٤٢٦هـ ، وعن عمر يناهز ٩٥/عاماً ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الفقيد من رواد الفنون الأدبية في مصر ، وله مؤلفات ذات قيمة وأهمية في تدوين تاريخ الأدب العربي المعاصر في مصر ، وفي الفن ومذاهبه في النثر العربي والشعر العربي ، ودراسات للشعر العربي المعاصر ، كما أن له كتباً عديدة في النقد الأدبي ، وتاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، وقد ألف كتاباً قيماً عن شاعر مصر الكبير شوقي باسم : "شوقي شاعر العصر الحديث" وعن الشاعر الأندلسي ابن زيدون باسم : "ابن زيدون الشاعر الأندلسي" .

وفقه الله تعالى لإنتاجات غالية في موضوع الأدب والنقد ، قديماً وحديثاً ، فقد كان من المكثرين الذين أثروا تاريخ الأدب والنقد العربي ، بكتاباتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم ودراساتهم .

حدث بوفاته فراغ كبير في صف الأدباء والنقاد المعاصرين ، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يسد ذلك الفراغ بمن هو أهل لذلك ، جزى الله الفقيد الغالي بأحسن ما يجزى به عباده العاملين المخلصين ، وتغمده بواسع رحمته وغفر له زلاته ، وأكرمه بنعيمه وجناته ؛ فإنه سميع مجيب قريب .

٢- الأستاذ شمس الباري ، في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ شمس الباري نجل العلامة الشيخ عبد الباري الندوي رحمه الله ، أستاذ الفلسفة الإسلامية الحديثة في الجامعة العثمانية بحيدرآباد سابقاً ، وقد كان الأستاذ شمس انتقل إلى باكستان بعد التقسيم حيث توطن ، ولكنه كان يزور الهند في مناسبات ، وكان أكبر أنجال العلامة الندوي ، كان مصاباً بمرض منذ مدة طويلة ، ورغم المعالجات لم يكتب له البرء ، وتوفي في ليلة الجمعة الخامس من شهر ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ - الموافق ١٥/من شهر أبريل ٢٠٠٥م ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

Declaration of Ownership & Other Details

Form 4 Rule 8

Name of Paper	:	**Al-Baas-Al-Islami**
Place of Publication	:	Lucknow
Periodicity of Publication:		Monthly
Chief Editor	:	Saeedur Rahman Al- Azami Al-Nadwi
Nationality	:	Indian
Address	:	Darul Uloom Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg, Lucknow, U.P.
Printer & Publisher	:	Athar Husain
Nationality	:	Indian
Address	:	21, Adnan Palli, Near Hira Public School, Ring Road, Dubagga, Post Kakori, Lucknow
Ownership	:	Majlis Sahafat Wa Nashriyat, Lucknow

I, Athar Husain, Printer/Publisher declare that the above information is correct to the best of my knowledge and belief.

ونحن إذ نعزي أسرة الراحل الكريم وأشقاءه الشيخ أحمد الباري ، والأستاذ فضل الباري ، والأستاذ عبيد الباري ، وأبناءهم وأعضاء أسرتهم جميعاً ، نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، ويغفر له زلاته ، ويجعله من أهل الجنة والنعيم ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

٣- الشيخ أبو بكر سعيد الندوي ، في ذمة الله تعالى

حملت الأنباء إلينا نبأ وفاة أحد أبناء ندوة العلماء ومتخرجيها من أهل ولاية جوجرات الهند ، المقيم في لندن منذ مدة طويلة ، وهو الشيخ أبو بكر سعيد الندوي ، وقد كان أصيب بجفاف الكليتين من ٨/أشهر ، وذلك في يوم الجمعة ٢٨/يناير ٢٠٠٥م - الموافق ١٦/من شهر ذي الحجة ١٤٢٥هـ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم من أبناء ندوة العلماء تخرج منها في السبعينيات من القرن المنصرم ، وكان مقيماً في لندن ، يعمل في مجال التعليم والتربية والدعوة الإسلامية .

تقبل الله منه أعماله الصالحة ، وتغمده برحمته وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهل وذويه الصبر والسلوان .

٤- والدة الشيخ عبد الحميد المقرئ الندوي ، في ذمة الله تعالى

فقد فضيلة الشيخ عبد الحميد المقرئ الندوي ، والدته يوم الخميس ، السابع والعشرين من شهر صفر ١٤٢٦هـ الموافق ٧/من شهر أبريل ٢٠٠٥م ، بعد مرض ذام عليها إلى مدة طويلة ، وقد عاشت أيامها الأخيرة في غيبوبة ، ورغم معالجات ناجعة لم يكتب لها الشفاء.

واستأثرت بها رحمة الله تعالى عن عمر يناهز ٩٠/عاما ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة المغفور لها (إن شاء الله) من السيدات الصالحات ومن الأمهات الواعيات اللائي يشرفن على تربية الأولاد وتنشئتهم على خلال دينية صالحة ، وبفضل هذه التربية نشأ أبناؤها على أسس دينية صالحة ، وهم فضيلة الشيخ عبد الحميد الندوي ، والأستاذ عبد الرشيد (المهندس) والحاج عبد المجيد صاحب الأعمال التجارية والزراعية .

و قد خلفت الفقيدة وراءها أسرة حافلة بالأولاد و الأحفاد وأبنائهم .

تغمدها الله تعالى بواسع رحمته ، وأدخلها فسيح جناته ، وألهم الجميع الصبر والسلوان ، فإنه سميع مجيب قريب .

٥- والدة الأخ الأستاذ محمد أرشد الأعظمي الندوي ، في ذمة الله تعالى

أخبرنا الأخ الأستاذ محمد أرشد الأعظمي الندوي من مكة المكرمة بأنه قد فوجئ بوفاة والدته الكريمة إثر نوبة قلبية ألمت بها في بلدة مئو ، حيث كانت مقيمة مع والده فضيلة الشيخ المقرئ حفيظ الرحمن أستاذ الحديث بمدرسة "مرقاة العلوم" التي كان قد أنشأها سماحة العلامة محدث الهند الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي رحمه الله تعالى .

وذلك في يوم الجمعة المصادف ٤/من شهر مارس عام ٢٠٠٥م ٢٢/من شهر محرم ١٤٢٦هـ .

كانت الفقيدة بالغة في الورع والتدين مبلغاً عالياً ، فقد أكرمها الله تعالى بأولاد نجباء ، منهم فضيلة الشيخ فضل الرحمن الأعظمي ، شيخ الحديث في إحدى المؤسسات العلمية في جنوب إفريقيا ، والأخ الأستاذ محمد أرشد الأعظمي الندوي موظف في وزارة الإعلام بمكة المكرمة .

ونحن إذ نعزيهم جميعاً نتضرع إلى الله سبحانه أن يحسن عزاءهم ، ويتغمد الراحلة الكريمة بواسع رحمته ، ويغفر لها زلاتها ، ويدخلها فسيح جناته ، فإنه نعم المولى ونعم النصير .